منهـــاج السنـــة النبويـــة
فـــي
دعـوة أهـل الكتـاب

إعـداد
د/ ياسر محمد عبد اللطيف
الأستاذ المساعد بقسم الأديان والمذاهب
كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة
جامعـة الأزهـر

ملخص البحث:

تبين من خلال هذا البحث أن المراد بمنهاج السنة النبوية في دعوة أهل الكتاب: الطرق التي سلكها الرسول صلى الله عليه وسلم في دعوة أهل الكتاب إلى الإسلام.

وقد تناول الباحث بالشرح والتحليل الرسائل النبوية لأهل الكتاب ومحاوارته صلى الله عليه وسلم مع أهل الكتاب وتصحيحه لعقائدهم ونماذج من معاملته صلى الله عليه وسلم لهم، والتي يتحتم على الهيئات الدعوية في كل عصر وفي كل مصر أن تقتفي أثر الرسول فيها.

كما دعا الباحث من خلال هذا البحث إلى ضرورة أن يأخذ الحوار الإسلامي المسيحي القدر اللائق به من العناية، حتى يثمر في تقريب وجهات النظر، ومن ثم تمتد جسور التواصل بين أوربا والإسلام، وهذا من شأنه أن يصب في مصلحة الدعوة الإسلامية.

كما شدد الباحث على ضرورة أن يُعنى الأزهر والأوقاف بإنشاء مراكز دعوية للسائحين الأجانب؛ لعرض رسالة الإسلام عليهم بالصورة الملائمة .

كما ينبغي أن يعاد النظر في المراكز الثقافية الإسلامية في أوربا من حيث تأهيل القائمين عليها، والدعم المادي والمعنوي، حتى تتمكن من مواصلة رسالتها الدعوية.

الكلمات الدلالية:

(أهل الكتاب- الرسائل النبوية- معاملة الرسول)

المقدمـــــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين ومن اتبع هديهم إلى يوم الدين ... وبعـــد؛؛؛؛

فإن الدعوة إلى دين الله ﷻ من أجل المقاصد، ومن أرفع المراتب، يقول جل وعلا: ﮋ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮊ [١]، ولعظم تلك المهمة بعث الله ـ تعالى ـ رسله &، وأنزل عليهم كتبه، ليقوم الناس بالقسط، ويعبدوا ربهم كما أمر .

يقول الله تعالى: ﮋ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮊ [٢] .

ولما كانت رسالة النبي محمد ﷺ خاتمة، فقد خاطب الله ـ تعالى ـ بها الناس، على اختلاف أجناسهم، وتباعد أقطارهم، وتباين أزمانهم .

يقول الله ﷻ: ﮋ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮊ [٣]، ويقــول عز ذكره: ﮋ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮊ [٤] .

ونظراً لاختلاف عقول الناس، سلك الرسول ﷺ مع كل جماعة ما يناسبها من الوسائل والأساليب الدعوية، ليحقق الهدف من دعوته، بنشر رسالة الإسلام في ربوع الدنيا.

وأهل الكتاب من الفئات التي عناها رسول الله ﷺ بدعوته، وقد كانوا أهل جدل وخصومة، كما كانوا أهل علم ومعرفة، لذلك كانت الوسائل النبوية في دعوتهم تتفق مع عقولهم، وتناسب أفكارهم .

وقد جاءت هذه الدراسة بعنوان (منهاج السنة النبوية في دعوة أهل الكتاب) لعرض صورة مشرفة من تاريخ الدعوة الإسلامية .

واقتضت طبيعة الدراسة أن تكون بعد المقدمة على النحو التالي:

التمهيد: التعريف بمصطلحات البحث .

المبحث الأول: الرسائل النبوية لأهل الكتاب .

المبحث الثاني: الحوار مع أهل الكتاب .

المبحث الثالث: تصحيح عقائد أهل الكتاب .

المبحث الرابع: معاملة الرسول ﷺ لأهل الكتاب .

---

(١) سورة فصلت، الآية (٣٣) .

(٢) سورة النحل، الآية (٣٦) .

(٣) سورة الأعراف، الآية (١٥٨) .

(٤) سورة سبأ، الآية (٢٨) .

الخاتمة: وفيها أهم النتائج التي توصل إليها البحث .

والله ـ تعالى ـ أسأل أن يجعل هذا خالصاً لوجهه الكريم، وأن يثقل به موازيننا، وصلى الله وسلم وبارك على رسوله الكريم .

د/ ياسر محمد عبد اللطيف
كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة



التمهيـد

التعريـف بمصطلحـات البحــث

أولاً: تعريـف المنهــاج:

النهج: الطريق الواضح، وكذا المنهج والمنهاج، وأنهج الطريق، وصار نهجاً واضحاً أي بيناً، ونهجت الطريق إذا أبنته وأوضحته [١] .

أما المنهاج في الاصطلاح: فلا يختلف تعريفه كثيراً عن المعنى اللغوي، قال تعالى: ژ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ژ [٢] .

يقول الطبري: (أي لكل قوم منكم جعلنـا طريقاً إلى الحـق يؤمه، وسبيلاً واضحاً يعمل به) [٣] .

فالمنهاج هو الخطوات المنظمة التي يتخذها الإنسان لمعالجة مسألة أو أكثر، ويتتبعها للوصول إلى نتيجة معينة يبغيها من وراء عمله [٤] .

ثانياً: تعريــف السنــة النبويــة:

يقول الأزهري: السنة الطريقة المحمودة المستقيمة، ولذلك قيل: فلان من أهل السنة، معناه من أهل الطريقة المستقيمة المحمودة، والسنة: الطبيعة ومنه قول الأعشى:

كريماً شمائله من بني معاوية الأكرمين السنن [٥]

وقال الراغب [٦]: سنة النبي ﷺ طريقته التي كان يتحراها، وسنة الله ﷻ قد تقال لطريقة حكمته وطريقة طاعته .

والسنة: السيرة حسنة كانت أو قبيحة، قال خالد بن عتبة:

فلا تجز عن من سيرة أنت سرتها فأول راض سنة من يسيرها

وفي الحديث الذي أخرجه مسلم برواية المنذر بن جرير قال: قال رسـول الله ﷺ: ﴿ من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من

---

(١) لسان العرب، لابن منظور، ١/ ٢١، دار صادر، بيروت، وانظر: المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، ص ٦٣٦، ط/ وزارة التربية والتعليم، ١٩٩٣م . .

(٢) سورة المائدة، الآية (٤٨) .

(٣) تفسير الطبري، ابن جرير، ٤/ ٦٠٩، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/٣، سنة ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .

(٤) الصحاح في اللغة والعلوم، نديم مرعشلي، مادة: نهج، ط/ دار الحضارة العربية .

(٥) تاج العروس، الزبيدي، ١٧/ ٣٤٤، ط/ بيروت .

(٦) المفردات، الراغب، ص ٤٢٩، ط/ الحلبي .

أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شيء ﴾ (١) .

أما السنة في اصطلاح المحدثين فإنها تعني: ما أثر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خَلقَية أو خلقية أو سيرة سواء كان قبل البعثة أو بعدها (٢) .

والسنة في عرف أهل الفقه تعني: ما ليس بواجب وتطلق على ما يقابل البدعة كقولهم: فلان من أهل السنة (٣) .

ويراد بالسنة في اصطلاح الأصوليين: ما نقل عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير (٤) .

ثالثاً: تعريـف الدعــوة:

يراد بالدعوة في اللغة: النداء والطلب، جاء في المصباح: دعوت الله أدعوه دعاء ابتهلت إليه بالسؤال، ورغبت فيما عنده من الخير، ودعوت زيداً ناديته، وطلبت إقباله، ودعا المؤذن الناس إلى الصلاة فهو داعي الله، والجمع دعاة ... والنبي داعي الخلق إلى التوحيد (٥) .

وفي القاموس: (الدعاء الرغبة إلى الله تعالى، دعا دعاء ودعوى، والنبي ﷺ داعي الله، ويطلق على المؤذن أيضاً) (٦) .

فالدعوة يراد بها ترغيب الناس في دين الله تعالى .

أما الدعوة في الاصطلاح فقد عرفها العلماء بتعريفات عدة منها ما يلي:

التبليغ عن الله تعالى وهو حث الناس على الخير والهدى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليفوزوا بسعادة العاجل والأجل (٧) .

ويراد بالدعوة الشيء المبلغ عنه وهو الإسلام .

يقول الدكتور/ أحمد غلوش: (إن كلمة الدعوة من الألفاظ المشتركة، لكنها تطلق

---

(١) أخرجه مسلم، ك: الزكاة، ب: الحث على الصدقة ولو بشق تمرة، رقم: ١٠١٧ .

(٢) قواعد الحديث، محمد جمال القاسمي، ١/ ٤٠، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ .

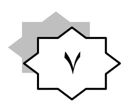
(٣) إرشاد الفحول، الشوكاني، ١/ ٥٣، دار الفكر، ١٩٩٢م .

(٤) دراسات في السنة، محمد بكار، ص ٥، ط/ جامعية، ٢٠٠٦م .

(٥) المصباح المنير، الرافعي، ١/ ١٩٤، ط/ بيروت، لبنان .

(٦) القاموس: الفيروز آبادي، ص ٣٢٩، ط/ مصطفى الحلبي، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م .

(٧) هداية المرشدين، على محفوظ، ص ١٧، دار الاعتصام .



ويراد بها الإسلام كدين، وتطلق كذلك على عملية تبليغ الإسلام ونشره، وهذا الاشتراك في اللفظ يحدده سياق إيراد الكلمة، فتعريف الدعوة كعلم يراد بها نشر الإسلام وتبليغه: إنها العلم الذي تعرف كافة المجالات الفنية المتعددة والرامية إلى تبليغ الناس الإسلام بما حوى من عقيدة وشريعة وأخلاق، وتعرف كدين: بأنها الخضوع لله تعالى والانقياد لتعاليمه بلا قيد أو شرط، أو هي الدين الذي ارتضاه الله للعالمين، وأنزل تعاليمه وحياً على رسوله ﷺ وحفظها في القرآن الكريم وبينها في السنة النبوية، أو هي النظام العام والقانون الشامل لأمور الحياة، ومناهج السلوك للإنسان، التي جاء بها محمد ﷺ من ربه وأمره بتبليغها إلى الناس، وما يترتب على ذلك من ثواب أو عقاب في الآخرة) [1] .

والذي يعنينا هنا هو الشيء المبلغ عنه وهو الإسلام ذلك الدين الذي ارتضاه الله للعالمين تمكيناً لخلافتهم، وتيسيراً لضروراتهم، ووفاءً بحقوقهم، ورعاية لشئونهم وحماية لوحدتهم، وتكريماً لإنسانيتهم، وإشاعة للحق والعدل فيما بينهم، وهي الضوابط الكاملة للسلوك الإنساني وتقرير الحقوق والواجبات [2] .

رابعاً: التعريف بأهل الكتــاب:

خاطب الله ـ تعالى ـ أهل الكتاب في القرآن الكريم أكثر من مرة، يقول الله ﷻ: ﮋ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﮊ [3] .

قال الإمام القرطبي وابن كثير [4] أن الخطاب موجه إلى اليهود والنصارى، وكذا ذكر جمهور المفسرين .

ويقول الإمام الطبري عند تفسير قوله تعالى: ﮋ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﮊ [5] ما نصه: (فأما الطائفتان اللتان ذكرهما الله، وأخبر أنه إنما أ،زل عليها الكتاب قبل المشركين هما اليهود والنصارى) [6] .

ومن السنة ما رواه أبو هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ﴿ أتريدون أن تقولوا كما قال

---

(١) الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، د/ أحمد غلوش، ص ١٢، ط/ نهضة مصر .

(٢) الدعوة الإسلامية دعوة عالمية، محمد الراوي، ص ١٢، الدار القومية للطباعة والنشر .

(٣) سورة آل عمران، الآية (٦٤) .

(٤) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ٣/ ٢٩٩، دار الحديث، القاهرة، وانظر: تفسير ابن كثير، ٢/ ٣٥٩ .

(٥) سورة الأنعام، الآية (١٥٦) .

(٦) جامع البيان، ٣/ ٤٠٢، دار الكتب العلمية، بيروت .

أهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا ﴾ (١) .

وذكر ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: ﴿ مثلكم ومثل أهل الكتابين من قبلكم كمثل رجل استأجر أجراء فقال من يعمل لي من غدوة إلى نصف النهار على قيراط فعملت اليهود. ثم قال: من يعمل لي من نصف النهار إلى صلاة العصر فعملت النصارى، ثم قال: من يعمل لي من العصر إلى مغيب الشمس على قيراطين فأنتم هم. فغضبت اليهود والنصارى قالوا: كنا أكثر عملاً وأقل عطاءاً، قال: هل نقصتم من حقكم. قالوا: لا، قال: فذلك فضلي أوتيه من أشاء ﴾ (٢) .

وبناءً على ما تقدم فإن أهل الكتاب هم اليهود والنصارى، وسموا أيضاً بأهل الذمة كما ورد في السنة (٣)،وسمي اليهود بالعبرانيين، وببني إسرائيل، وسمي النصارى بالمسيحيين.

ومن خلال التعريفات لمفردات عنوان البحث يكون المراد بمنهاج السنة النبوية في دعوة أهل الكتاب: الطرق التي سلكها الرسول ﷺ في دعوة أهل الكتاب إلى الإسلام .

وقد ذكرت في هذا البحث، ما وضح من طرق وخطوات قام بها الرسول ﷺ في هذا الجانب، مع ذكر نماذج واضحة لكل منهج على حدة .



---

(١) أخرجه مسلم، الكتاب الأول، ب: ٥٧، حديث رقم: ١٩٩، وصحيح مسلم بشرح النووي، ٢/ ١٢٥ .

(٢) أخرجه البخاري، ك: الإجارة، ب: الإجارة إلى نصف النهار، ج٢، حديث رقم: ٢١٤٨ .

(٣) يقول الرسول ﷺ: ﴿ من قتل قتيلاً من أهل الذمة لم يجد ريح الجنة ﴾ أخرجه النسائي، ك: القيامة، ب: تعظيم قتل المعاهد، ج٨ رقم: ٤٧٤٣، وصححه الألباني .

المبحــث الأول
الرسائــل النبوية لأهـل الكتـاب

من الطرق التي سلكها الرسول ﷺ في دعوته لأهل الكتاب إرسال الرسائل والمكاتبات إليهم، يدعوهم من خلالها إلى الإسلام، وقد شملت هذه الرسائل معظم الدول آنذاك، أهل الكتاب وغيرهم من المجوس وأهل الشرك، وهذا هو التطبيق العملي للدعوة الإسلامية، التي جعلت للناس عامة، ولم تختص بجنس أو لــون دون غيره، قـال تعالى: ﮋ ﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝ ﮊ [1] .

يقول ابن سعد في الطبقات: (إن الرسول ﷺ لما رجع من الحديبية أرسل الرسل إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام، وكتب إليهم كتباً، فقيل له إن الملوك لا تقرأ كتاباً إلا مختوماً، فاتخذ الرسول ﷺ خاتماً من فضة، نقشه ثلاثة أسطر هكذا:

الله

رسول

محمد

وختم به الكتب، فخرج ستة نفر منهم في يوم واحد وذلك في المحرم سنة سبع) [2]، ولم يقف الأمر عند إرسال الرسائل إلى الحكام وفقط، بل أرسل الرسول ﷺ بعضاً من أصحابه إلى ديار أهل الكتاب، لدعوتهم إلى الإسلام وتعريفهم بأحكام الدين، وهذه نماذج من الرسائل التي وجهت إلى الأمراء من أهل الكتاب، حيث إن محور الدراسة دعوة أهل الكتاب .

١ ـ رسالة الرسول ﷺ إلى النجاشي:

أرسل الرسول ﷺ برسالة إلى النجاشي ملك الحبشة، حملها الصحابي الجليل عمرو بن أمية الضمري ﷺ جاء فيها: (هذا كتاب من عند محمد ﷺ إلى النجاشي الأصحم عظيم الحبشة، سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، وأن محمداً عبده ورسوله، وأدعوك بدعاية الإسلام فإني رسول الله فأسلم تسلم ﮋ ﭪﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭻﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉ ﮊ [3]، فإن أبيت

---

(١) سورة الفرقان، الآية (١) .

(٢) الطبقات، ابن سعد، ١/ ١٢٥، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م .

(٣) سورة آل عمران، الآية (٦٤) .

فعليك إثم النصارى من قومك) [١] .

٢ ـ رسالة الرسول ﷺ إلى هرقل ملك الروم:

بعث الرسول ﷺ دحية الكلبي إلى هرقل ملك الروم ومعه رسالة جاء فيها: (بسم الله الرحمن الرحيم .. من محمد بن عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدي، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، أسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإنما فعليك إثم الإريسيين [٢]،ژڤـڤـڤڤـڦـڦڦڄڄڃڃڃڃڃڃڃڃڃڃڃڃڇڇڇڇڍڍڌڌڌڌڎڎڈژ [٣] ..)[٤] .

٣ ـ رسالة الرسول ﷺ إلى المقوقس عظيم القبط:

وقد حمل هذه الرسالة حاطب ابن أبي بلتعة ﷺ ونصها: (بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن عبد الله ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإنما عليك إثم القبط ژڤـڤـڤڤـڦـڦڦڄڄڃڃڃڃڃڃڃڃڃڃڃڃڇڇڍڍڌڌڌڌڎڎڈژ) [٥] .

٤ ـ رسالة الرسول ﷺ إلى حاكم دمشق:

أرسل الرسول ﷺ برسالة إلى حاكم دمشق حملها شجاع بن وهب الأسدي إلى الحارث بن أبي شمر الغساني عامل الرومان على دمشق جاء فيها: (من محمد رسول الله ﷺ إلى الحارث بن أبي شمر الغساني. سلام على من اتبع الهدى وآمن به، وأدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له، يبقى ملكك) [٦] .

---

(١) البداية والنهاية، ابن كثير، ٣/ ١٣٠ ـ ١٣١، ط/ دار الحديث، القاهرة، ١٤١٤هـ .

(٢) الإريسيين: أي الفلاحين، ويراد بهم عامة الناس، والمعنى فإن لم تدخل في الإسلام فإن عليك إثمك وإثمهم إذا لم يسلموا تقليداً لك. انظر: فتح الباري، ١/ ٣٩، دار الفكر، بيروت .

(٣) سورة آل عمران، الآية (٦٤) .

(٤) السيرة النبوية، ابن هشام، ٤/ ٢٠٦، نشر مكتبة الجمهورية .

(٥) البداية والنهاية، ٤/ ٢٦٧، والآية (٦٤) من سورة آل عمران .

(٦) البداية والنهاية، ٤/ ٢٦٣ .

٥ ـ رسالة إلى يهود خيبر:

أرسل الرسول ﷺ برسالة إلى يهود خيبر جاء فيها: (من محمد رسول الله ﷺ صاحب موسى عليه السلام وأخيه والمصدق لما جاء به موسى ألا إن الله قد قال لكم يا معشر أهل التوراة، وإنكم لتجدون ذلك في كتابكم: ﮋﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚﮊ [١]، وإني أنشدكم بالله، وأنشدكم بما أنزل عليكم، وأنشدكم بمن أطعم من كان قبلكم من أسباطكم المن والسلوى، وأنشدكم بالذي أيبس البحر لآبائكم حتى أنجاهم من فرعون وعمله، إلا أخبرتموني: هل تجدون فيما أنزل الله عليكم أن تؤمنوا بمحمد؟ فإن كنتم لا تجدون ذلك في كتابكم فلا كره عليكم، قد تبين الرشد من الغي، فأدعوكم إلى الله وإني نبيه) [٢] .

٦ ـ رسالة الرسول ﷺ إلى أمير البحرين:

بعث الرسول ﷺ برسالة إلى أمير البحرين المنذر بن ساوي العبدي، وحملها إليه الصحابي الجليل العلاء الحضرمي جاء فيها: (بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوي، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك إلى الإسلام، فأسلم تسلم، يجعل الله لك ما تحت يدك، واعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخف والحافر) [٣] .

٧ ـ رسالة الرسول ﷺ إلى جيفر وعبد الأزديين صاحبي عمان:

أرسل الرسول ﷺ برسالة إلى جيفر وعبد ابني الجلندي، وحمل هذه الرسالة عمرو بن العاص رضي الله عنه ونص الرسالة: (من محمد رسول الله إلى جيفر وعبد ابني الجلندي السلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوكما بدعاية الإسلام أسلما تسلما، فإني رسول الله إلى الناس لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين، وإنكما إن أقررتما بالإسلام وليتكما، وإن أبيتما أن تقرا بالإسلام فإن ملكما زائل وخيلي تحل بساحاتكم، وتظهر نبوتي على ملككما) [٤] .

سفـراء الرسول ﷺ:

من وسائل السنة في دعوة أهل الكتاب التي سلكها رسول الله ﷺ بعد إرساله الرسائل إلى الملوك إيفاد نفر من أصحابه، إلى أهل الكتاب، لنشر الإسلام بينهم، والبقاء فيهم

---

(١) سورة الفتح، الآية (٢٩) .

(٢) الروض الأنف، السهيلي، ٢/ ٤٠٢، ت: عبد الرحمن الوكيل، دار الكتب، القاهرة، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م .

(٣) مجموعة الوثائق السياسية، د/ محمد حميد الله، ص ٦٥، ٦٦ .

(٤) زاد المعاد، ٣/ ٦٢، دار صادر، بيروت .

لتعليمهم أحكام الدين، وأذكر من ذلك ما يلي:

١ ـ معاذ بن جبل ﷺ في اليمن:

بعث الرسول ﷺ معاذ بن جبل ﷺ على رأس مجموعة من الصحابة إلى اليمن، فعن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل: « إنك ستأتي قوماً أهل كتاب، فإن جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب » [١] .

٢ ـ خالد بن الوليد ﷺ في نجـران:

بعث الرسول ﷺ خالد بن الوليد ﷺ في السنة العاشرة من الهجرة إلى بني الحارث بن كعب بنجران، وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام، فذهب إليهم، وأقام عندهم مدة يدعوهم إلى الإسلام، ويعلمهم أحكام الدين، ثم رجع خالد إلى الرسول ﷺ ومعه وفد من بني الحارث بن كعب [٢] .

٣ ـ علي بن أبي طالب ﷺ في اليمن:

روى الإمام ابن كثير عن علي ﷺ أنه قال: « بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن وأنا حديث السن، قال: فقلت تبعثني إلى قوم يكون بينهم أحداث، ولا علم لي بالقضاء، قال: إن الله سيهدي لسانك ويثبت قلبك، قال: فما شككت في قضاء بين اثنين » [٣] .

٤ ـ أبو عبيـدة بن الجراح في اليمـن:

أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن أنس ﷺ أن أهل اليمن قدموا على رسول الله ﷺ فقالوا ابعث معنا رجلاً يعلمنا السنة والإسلام، قال: فأخذ بيد أبي عبيدة فقال: هذا أمين هذه الأمة » [٤] .

وتحمل الرسائل النبوية دلالات وإشارات، تظهر حكمة الرسول ﷺ في منهجه الدعوي، ومن ذلك ما يلي:

١ ـ حسن اختيـار الرسـل:

---

(١) أخرجه البخاري، ك: التوحيد، الباب الأول، رقم: ٧٣٧١، وانظر: الفتح، ١٥/ ٢٩٤ .

(٢) البداية والنهاية، ٥/ ٩٤، وسيرة ابن هشام، ٤/ ٢٣٨ .

(٣) البداية والنهاية، ٥/ ٩٤ .

(٤) صحيح مسلم، النووي، ١٥/ ١٩٢، ط/ دار الكتب العلمية، أخرجه البخاري، ك: المغازي، ب: قصة نصارى نجران، ٤/ ١٥٩٢ .

اختار الرسول ﷺ أناساً من أصحابه لإرسالهم إلى رؤساء الدول، وأمراء البلاد، وكان اختياره قائماً على مواصفات رباهم عليها، فكانوا يتحلون بالعلم والفصاحة، والصبر والشجاعة، والحكمة وحسن التصرف، بل وحسن المظهر، وقد ذكر ابن سعد في الطبقات أن كل مبعوث من قبل الرسول ﷺ كان يتكلم بلسان القوم الذين بعث إليهم [١]، وتظهر حكمة النبي ﷺ ودقته في اختيار الرسل، عندما نعرف جانباً من سيرتهم، حيث تذكر كتب التاريخ أن دحية الكلبي الذي أرسله الرسول ﷺ إلى هرقل كان يضرب به المثل في حسن الصورة، حتى إن جبريل عليه السلام ـ كان يأتي للرسول ـ ﷺ ـ في صورته رضي الله عنه، ومع حسن مظهره كان فارساً عالماً بالروم وأحوالهم) [٢] .

أما عن حاطب بن أبي بلتعة فقد كان رضي الله عنه أحد فرسان قريش وشعرائها في الجاهلية، وكان على علم بالنصرانية ـ وهي ديانة أهل مصر ـ كما كان لديه قدره على المحاورة، وكان ممن شهد بدراً مع الرسول عليه السلام ولا يخفى ما لأهل بدر من مزية [٣] .

ومعاذ بن جبل رضي الله عنه من أعلم الناس بالحلال والحرام، وقال عنه ابن مسعود إن معاذ بن جبل كان أمة، وهو أحد الستة الذين حفظوا القرآن في عهد الرسول ﷺ وقال عنه أبو نعيم في الحلية: إنه كان إمام الفقهاء وكنز العلماء، وكان من أجمل الرجال وذو سماحة ومنطق [٤]، ويعد عمرو بن أمية الضمري الذي أرسله الرسول ﷺ إلى الحبشة من رجال الحرب نجدة وجرأة، وكان الرسول ﷺ يبعثه في كثير من أموره [٥] .

وتاريخ علي بن أبي طالب رضي الله عنه منذ صباه عامر بالشجاعة والمروءة والنجدة، وكان من أهل العلم والفقه، وكان يقول عن نفسه: والله ما نزلت آية في كتاب الله إلا وقد علمت فيما نزلت، وأين نزلت، وعلى من نزلت، إن الله وهب لي قلباً عقولاً ولساناً طلقاً [٦] .

وهكذا كان شأن كل من أرسلهم الرسول عليه السلام إلى الأمراء من أهل الكتاب، يتسمون بالعلم والحكمة والشجاعة، وهذا أسلوب جليل القدر لأن حامل الرسالة عليه دور لا ينكر،

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد، ١/ ١٢٥، مرجع سابق .

(٢) الإصابة، ابن حجر، ٢/ ١٦٢، دار الكتب العلمية، بيروت .

(٣) السابق، ١/ ٣١٤ .

(٤) السابق، ٦/ ١٠٦ .

(٥) الاستيعاب، ابن عبد البر، ٢/ ١٦٣، ١٦٤، ط/ المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م ،

(٦) الطبقات، ٢/ ٤٢٠ .

وقد قيل: أرسل حكيماً ولا توصه، ومن ذلك ما ذكر من رد ربعي بن عامر ﷺ على رستم حين سأله ما جاء بكم إلى بلادنا فقال ربعي ﷺ: (جئنا لنخرج الناس من عبادة الناس إلى عبادة رب الناس، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة) [١] .

٢ ـ مراعـاة أقدار الناس:

ومن الأساليب الواضحة في رسائله ﷺ توقير المرسل إليه وإعطائه حقه، وخطابه بما يليق به كقوله ﷺ: ﴿ إلى عظيم القبط .. إلى عظيم الروم ... فما من جماعة إلا وتعظم حاكمها، وله بين قومه ما ليس لغيره من الوجاهة، فمجئ الخطاب موافقاً للحال أدب نبوي رفيع، أشارت إليه السنة النبوية في مواضع عدة، فعن أبي ثابت عن ميمون بن أبي شيب، أن عائشة < مر بها سائل فأعطته كسرة، ومر بها رجل عليه ثياب وهيئه فأقعدته فأكل فقيل لها في ذلك فقالت: قال رسول الله ﷺ: ﴿ أنزلوا الناس منازلهم ﴾ [٢]، ولما دخل الرسول ﷺ مكة أتى أبو بكر ﷺ بأبيه أبي قحافة يقوده، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: ﴿هلا تركت الشيخ في بيته حتى آتيه؟ فقال:يمشي هو إليك يا رسول الله أحق أن تمشي إليه ﴾ [٣]، وجاء شيخ يريد النبي ﷺ فأبطأ القوم أن يوسعوا،فقال: ﴿ ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ولم يوقر كبيرنا ﴾ [٤] .

والحق أن حسن الخطاب، واللطف في العبارة، داع إلى استمالة الغير ودفعه نحو الحق، فقد قال الله تعالى لموسى وهارون ^ عندما أرسلهما إلى فرعون: ﮋ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﮊ [٥] .

٣ ـ الإيجـاز ووضوح الهـدف:

اتسمت الرسائل النبوية بالإيجاز ووضوح الهدف، فقد عرض الرسول ﷺ دعوته للإسلام، وأفصح عن نفسه في صورة موجزة، وهذا من جوامع كلمه ﷺ حيث كان يعرض للمعاني الكثيرة في ألفاظ قليلة، وكان كلامه قصداً لا لبس فيه ولا خفاء، بعيداً عن التكلف

---

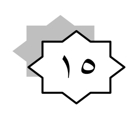
(١) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ٢/ ٤٦٣، ٤٦٤، دار الفكر للطباعة .

(٢) أخرجه أبو داود، ك: الأدب، ب: تنزيل الناس منازلهم، ج ٢ رقم: ٧٣٣ .

(٣) أخرجه أحمد في المسند، رقم: ٢٥٧١٨ .

(٤) أخرجه الترمذي، ك: البر والصلة، ب: ما جاء في رحمة الصبيان، ج ٢، رقم: ٦٩٨٠ .

(٥) سورة طه، الآية (٤٤) .



والتقعر، قال تعالى على لسان رسوله ﷺ: ﮋﭬﭭﭮﭯﮊ [١] .

٤ ـ الترغيـب والترهيـب:

وضح الترغيب والترهيب [٢] في رسائل الرسول ﷺ وهذا أسلوب يتفق مع النفس البشرية التي تميل إلى الخير، وتنفر من السوء والشر، ويبدو ذلك في عبارات الرسول ﷺ: "أسلم تسلم ـ أسلم يؤتك الله أجرك مرتين" وقد ثبت في السنة النبوية عن أبي موسى الأشعري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ﴿ ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين. رجل من أهل الكتاب وأدرك النبي ﷺ فآمن به واتبعه وصدقه فله أجران، وعبد مملوك أدى حق الله وحق سيده فله أجران، ورجل كانت له أمة فغذاها فأحسن غذاءها ثم أدبها فأحسن تأديبها، وعلمها فأحسن تعليمها ثم أعتقها وتزوجها فله أجران ﴾ [٣] .

والترهيب ظاهر من خلال عبارة (فإن توليت فإنما عليك إثم القبط، وفي قوله: فإنما عليك إثم الإريسيين) وهذا تحذير للحكام لأنهم ليسوا كغيرهم، فالناس كما يقال: على دين ملوكهم، إن قبل الحاكم الحق سار الناس خلفه، وإن أعرض عنه تبعه الناس في ذلك، ونظير ذلك ما ورد في السنة النبوية: فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿ من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، ولا ينقص ذلك من أجورهم شيئا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا ﴾ [٤] .

٣ ـ التلطـف في العبـارة:

حفلت الرسائل النبوية بالتلطف مع أهل الكتاب، وإشعارهم بمزية لهم من خلال الثناء على موسى وعيسى ^ وهما من ينتسب إليهما أهل الكتاب،وهذا حامل لهم على قبول التوحيد، والذي أشير إليه بقوله: "إلى كلمة سواء"، كما يرى جمهور المفسرين [٥] .

والإجماع على الكلمة السواء يرجع المسلمين وأهل الكتاب إلى إفراد الله وحده لا

---

(١) سورة ص، الآية (٨٦) .

(٢) ويقصد بالترغيب كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه والترهيب من الرهبة والخوف ويقصد به في مجال الدعوة: كل ما يخيف ويحذر المدعو من عدم الاستجابة أو رفض الحق، راجع: أصول الدعوة،، د/ عبد الكريم زيدان، ص ٤٣٧، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣م .

(٣) أخرجه مسلم، ك: الإيمان، ب: وجوب الإيمان برسالة محمد، ج ١ رقم: ٤٠٤ .

(٤) أخرجه مسلم، ك: العلم، ب: من سن سنة حسنة، رقم: ٦٩٨٠ .

(٥) جامع البيان، ابن جرر، ٣/ ٢١٥ .

شريك له بالعبادة، وإلى نبذ كل الطواغيت، وهذا القدر كان قاسماً مشتركاً بين الطرفين [١] .

٤ ـ التـدرج في الدعــوة:

أمر الرسول ﷺ معاذاً ؓ أن يعرض أحكام الإسلام شيئاً فشيئاً، ولا يعرضها دفعة واحدة، حتى لا يعجز الناس عن قبولها، وهذا منهج سديد يلائم الفطرة الإنسانية، ولذلك نزل القرآن الكريم منجماً في ثلاثة وعشرين عاماً، هي مدة الدعوة في مكة والمدينة، وفي الحديث عن عائشة < قالت: ﴿ إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام، نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء: لا تشربوا الخمر، لقالوا لا ندعه الخمر أبداً، ولو نزل لا تزنوا، لقالوا: لا ندع الزنا أبداً ﴾ [٢] .

يقول الشاطبي: (ومن هنا كان نزول القرآن نجوماً في عشرين سنة، ووردت الأحكام التكليفية شيئاً فشيئاً، ولم تنزل دفعة واحدة، وذلك لئلا تنفر عنها النفوس دفعة واحدة، فلو نزلت دفعة واحدة لتكاثرت على المكلف، فلم يكن لينقاد إليها انقياده إلى الحكم الواحد أو الاثنين) [٣] .

يقول الإمام البخاري في كتاب "العلم قبل القول والعمل" ما نصه: ﴿ يقال الرباني: الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره ﴾ [٤]، وقد فسر ابن حجر ذلك بقوله: (المراد بصغار العلم ما وضح من مسائله، وبكباره ما دق منها، وقيل يعلمهم جزئياته قبل كلياته، أو فروعه قبل أصوله، أو مقدماته قبل مقاصده) [٥] وعن يونس بن يزيد قال: قال لي ابن شهاب يا يونس لا تكابر العلم، فإن العلم أودية فأيها أخذت فيه قطع بك قبل أن تبلغه، ولكن خذه مع الليالي والأيام، ولا تأخذ العلم جملة، فإن من رام أخذه جملة ذهب عنه جملة، ولكن الشيء بعد الشيء مع الأيام والليالي) [٦] .

---

(١) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ٣/ ٢٦٨، الدار التونسية للنشر .

(٢) أخرجه البخاري، ك: فضائل القرآن، ب: تأليف القرآن، ج ٤، رقم: ٤٧٠٧ .

(٣) الموافقات، الشاطبي، ٢/ ١٤٨، ت: أبو عبيدة، دار ابن عفان، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م .

(٤) أخرجه البخاري، ك: العلم، ب: العلم قبل القول والعمل، ١/ ٣٧ .

(٥) فتح الباري، ١/ ١٦٢ .

(٦) جامع بيان العلم، ابن عبد البر، ١/ ٢٠٧، مؤسسة الريان، دار ابن حزم، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م .

أثار الرسائل النبوية لأهل الكتاب:

ترتب على الرسائل النبوية لأهل الكتاب في البلدان المتاخمة لمركز الدعوة في المدينة المنورة ما يلي:

١ ـ انتشار الإســلام:

حيث أقبل بعض الحكام ممن وصلتهم رسائل على الإسلام واعتناقه، ويأتي في مقدمة هؤلاء النجاشي ملك الحبشة، حيث تذكر بعض المصادر أنه أخذ كتاب الرسول ﷺ ووضعه على عينيه ونزل من على سريره، فجلس على الأرض تواضعاً، ثم أسلم وشهد شهادة الحق [١] .

وقد أكد النجاشي إسلامه من خلال رسالة بعثها إلى الرسول ﷺ جاء فيها: (بسم الله الرحمن الرحيم إلى محمد رسول الله من النجاشي الأصحم بن أبجر، سلام عليك يا نبي الله ورحمته وبركاته، من الله الذي لا إله إلا هو الذي هداني إلى الإسلام، أما بعد: فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى، فو رب السماء والأرض، إن عيسى عليه السلام ما يزيد على ما ذكرت فروقاً، وقد عرفت ما بعثت به إلينا، وأسلمت لله رب العالمين) [٢]، كما أسلم المنذر بن ساوي أمير البحرين، وبعث برسالة إلى الرسول ﷺ يخبره فيها بإسلامه [٣]، كما أسلم جيفر وعبد ابنا الجلندي الأزديين صاحبي عمان، وكان الرسول ﷺ قد بعث إليهما برسالة حملها ـ عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه [٤]، وقد تبع ذلك دخول عدد من تلك البلاد التي أسلم حكامها الإسلام .

٢ ـ مجئ وفود من أهل الكتاب إلى المدينة:

أحدثت الرسائل النبوية صدى واسعاً في البلاد التي وصلت إليها، فتطلع بعض أهل الكتاب إلى التعرف على الإسلام عن قرب، والمجيء إلى المدينة لمقابلة الرسول ﷺ وإعلان دخولهم في الإسلام، ومن ضمن تلك الوفود وفد نصارى الحبشة، وكان عددهم عشرون رجلاً، حين أتوا رسول الله ﷺ بعدما ظهر أمره في الحبشة، فوجدوه في المجلس، فكلموه

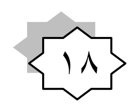
---

(١) الطبقات، ابن سعد، ١/ ٢٥٢ ـ ٢٥٩ .

(٢) البداية والنهاية، ٣/ ٨٤ .

(٣) زاد المعاد، ابن القيم، ١/ ١٤٧، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م .

(٤) السابق، ٣/ ٦٣، وانظر: السيرة الحلبية، برهان الدين الحلبي، ٣/ ٣٠١ ـ ٣٠٣، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م .



وسألوه، فلما فرغوا من مساءلتهم رسول الله ﷺ عما أرادوا دعاهم إلى الله ﷻ وتلا عليهم القرآن، فلما سمعوا فاضت أعينهم من الدمع، ثم استجابوا له وآمنوا به وصدقوه، ثم رجعوا ودعوا قومهم إلى الإسلام فآمنوا [١] .

وقد أتي ـ أيضاً ـ وفد عبد القيس من البحرين، فعن ابن عباس ﵄ أن وفد عبد القيس قدم على رسول الله ﷺ فاستقبلهم وقال: « مرحباً بالقوم غير خزيا ولا ندامى، فقالوا يا رسول الله: إن بيننا وبين المشركين من مضر حرباً، وإنا لا نصل إليك إلا في الشهر الحرام، فحدثنا بجميل من الأمر إن عملنا به دخلنا الجنة، وندعو به من وراءنا، قال: آمركم بأربع وأنهاكم عن أربع، فأمرهم بالإيمان بالله وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وخمس المغانم، ونهاهم عن أربع. عن ما ينبذ في الدباء والنقير والحنتم والمزفت » [٢] .

وقد ذكر الطبري أن وفد عبد القيس كان على رأسه "الجارود بن حنش أخو عبد القيس، وكان نصرانياً، فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ كلمه فعرض عليه الإسلام، ودعاه إليه ورغبه فيه، فقال يا محمد، إني كنت على دين، وإني تارك ديني لدينك، أفتضمن لي ديني؟ فقال رسول الله ﷺ: نعم أنا ضامن أن قد هداك الله إلى ما هو خير منه، قال: فأسلم وأسلم أصحابه [٣] .

٣ . القيام بواجب الدعوة إلى الله تعالى:

ومن أثار الرسائل النبوية أن الرسول ﷺ بصنيعه هذا يكون قد أدى دوره في الإبلاغ عن الله ـ تعالى ـ لأن رسالته عالمية، ويكون بذلك قد أقام الحجة على من بلغته الدعوة، وقطع عليهم دابر المعذرة في أن يقولوا: ژئۆئۇئېئۆئىئەىىيي□□□□ژ [٤] .



(١) سيرة ابن هشام، ١/ ٣١٤ .

(٢) أخرجه البخاري، ك/ الخمس، ب: الخمس من الدين، ٣/ ١١٢٨ .

(٣) تاريخ الرسل والملوك، الطبري، ٣/ ١٣٦، ط/ دار المعارف، مصر، ١٩٦١م .

(٤) سورة طه، الآية (١٣٤) .

المبحث الثاني
الحوار مع أهل الكتاب

أقام الرسول ﷺ حوارات عدة مع أهل الكتاب، في سبيل دعوتهم إلى الحق، وإنقاذهم من الضلال، ولم يأل جهداً ـ في سبيل عقد تلك الحوارات، من الذهاب إلى مواطن مجتمعاتهم، وإرسال الرسائل إليهم حتى يفدوا إليه، وقد أثمرت تلك الحوارات عن دخول بعض أهل الكتاب في الإسلام، والدعوة إليه .

التعريف بالحوار:

تتفق المعاجم اللغوية على أن الحوار يراد به (مراجعة النطق، وتحاوروا تراجعوا الكلام بينهم) (١) .

يقول الزبيدي: (المحاورة: المجاوبة ومراجعة النطق والكلام في المخاطبة، وقد حاوره وتحاورا: تراجعوا الكلام بينهم وهم يتراوحون ويتحاورون) (٢) .

ويقول ابن منظور: (واستحاره أي استنطقه ... والمحاورة: مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة) (٣) .

والحوار في الاصطلاح يعني: (محادثة بين اثنين أو فريقين حول موضوع معين لكل منهما وجهة نظر خاصة به، هدفها الوصول إلى الحقيقة أو إلى أكبر قدر ممكن من التطابق في وجهات النظر، بعيداً عن أي خصومة أو أي تعصب .. مع استعداد كلا الطرفين لقبول الحقيقة، ولو ظهرت على يد الطرف الآخر) (٤) .

وهناك مصطلحات أخرى تلتقي مع الحوار في نفس الهدف كالجدل والمناظرة وإن كان البعض حدد فوراق بين تلك المصطلحات، إلا أن جميعها تتخذ المراجعة منهجاً للبيان عما في النفس .

يقول الألمعي: (إن الحوار والجدل والمناظرة ترجع في نهاية أمرها إلى كونها طريقة البيان والتبيين التي أودعها الله في بني الإنسان جبلة وطبعاً) (٥) .

---

(١) القاموس المحيط، ٢، ١٥، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة .

(٢) تاج العروس، الزبيدي، ٣/ ٢٦٢، ت: عبد الستار فراج، دار الهداية، ١٩٧١م .

(٣) لسان العرب، ٤/ ٢١٨ .

(٤) الحوار الإسلامي المسيحي، بسام عجك، ص ٢٠، دار قتيبة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م .

(٥) منهاج الجدل، الألمعي، ص ٢٥، ط (٣)، مطابع الفرزدق، سنة ١٩٨٤م .

والقرآن الكريم يعطي المثل الأعلى في الحوار مع المخالفين، فقد حاور الله ـ جل وعلا ـ إبليس، كما حاور الملائكة الكرام، وهناك حوار إبراهيم مع النمرود وحوار موسى عليه السلام مع فرعون ومع بني إسرائيل، وغير ذلك من الحوارات التي تعني المراجعة والمرادَّة في الكلام.

يقول القرطبي تفسير قوله تعالى: ﴿ فقال لصحابه وهو يحاوره ﴾ أي يراجعه في الكلام ويجاوبه، والمحاورة المجاوبة، والتحاور التجاوب [١]، وهو ما ذكره الألوسي في قوله: (المحاورة مراجعة الكلام) [٢] .

وهذه نماذج لحوار الرسول ﷺ مع أهل الكتاب:

أولاً: نماذج من حوارات الرسول ﷺ مع اليهود:

الحوار الأول:

عن ابن عباس { قال: ﴿ أقبلت يهود إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا أبا القاسم إنا نسألك عن خمسة أشياء فإن أنبأتنا بها، عرفنا أنك نبي واتبعناك، فأخذ عليهم ما أخذ إسرائيل على بنيه. إذ قالوا الله على ما نقول وكيل، قال: هاتوا، قالوا: أخبرنا عن علامة النبي، قال تنام عيناه ولا ينام قلبه، قالوا: كيف تؤنث المرأة وكيف تذكر، قال: يلتقي الماءان، فإذا علا ماء الرجل أذكرت، وإذا علا ماء المرأة ماء الرجل أنثت، قالوا: أخبرنا ما حرم إسرائيل على نفسه، قال: كان يشتكي عرق النسا فلم يجد شيئاً يلائمه إلا ألبان كذا وكذا، قال أبي: قال بعضهم: يعني الإبل فحرم لحومها، قالوا: صدقت، قالوا: أخبرنا ما هذا الرعد، قال ملك من ملائكة الله عز وجل موكل بالسحاب، بيده أو في يده مخراق من نار، يزجر به السحاب، يسوقه حيث أمر الله، قالوا: فما هذا الصوت الذي يسمع، قال: صوته، قالوا: صدق إنما بقيت واحدة، وهي التي نبايعك إن أخبرتنا بها، فإنه ليس من نبي إلا له ملك يأتيه بالخير فأخبرنا من صاحبك؟ قال: جبريل عليه السلام، قالوا: جبريل ذاك الذي ينزل بالحرب والقتال والعذاب عدونا، ولو قلت ميكائيل الذي ينزل بالرحمة والنبات والقطر لكان فأنـزل الله عز وجل: ﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟ... ﴾ [٣] .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٠/ ٤١٣، ط/ دار الحديث، القاهرة، ط (٢)، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م .

(٢) روح المعاني، الألوسي، ٨/ ٢٦١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، سنة ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م .

(٣) أخرجه البخاري، ك: فضائل الصحابة، ب: كيف أخي النبي بين أصحابه، ٣/ ١٤٣٣، حديث رقم: ٣٢٥، والآية رقم (٩٧) من سورة البقرة .

الحــوار الثانـــي:

عن بان مسعود ﷺ قال: ﴿ بينما أمشي مع الرسول ﷺ في خرب المدينة ـ وهو يتوكأ على عسيب معه ـ فمر بنفر من اليهود، فقال بعضهم لبضع: سلوه عن الروح، لا تسألوه لا يجيء فيه بشيء تكرهونه. فقال بعضهم لنسأله، فقام رجل منهم فقال: يا أبا القسم، ما الروح؟ فسكت فقلت إنه يوحى إليه، فقمت، فلما انجلى عنه، فقال: ﮋﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰ ﯱﯲﯳﯴﯵﮊ ... ﴾ [(١)] .

الحــوار الثالـــث:

عن أنس ﷺ ﴿ أن عبد الله بن سلام بلغه مقدم الرسول ﷺ إلى المدينة، فآتاه يسأله عن أشياء، فقال إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي، ما أول أشراط الساعة، وما أول طعام يأكله أهل الجنة، وما بال الولد ينزع إلى أبيه أو إلى أمه؟ قال: أخبرني به جبريل آنفاً، قال ابن سلام ذاك عدو اليهود من الملائكة، قال: أما أول أشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت، وأما الولد فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزعت الولد، قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، قال: يا رسول الله: إن اليهود قوم بهت، فاسألهم عني قبل أن يعلموا بإسلامي، فجاءت اليهود فقال النبي ﷺ أي رجل فيكم عبد الله بن سلام؟ قالوا خيرنا وابن خيرنا وأفضلنا وابن أفضلنا. فقال النبي ﷺ: أرأيتم إن أسلم عبد الله بن سلام؟ قالوا:أعاذه الله من ذلك، فأعاد عليهم، فقالوا مثل ذلك، فخرج عليهم عبد الله فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، قالوا شرنا وابن شرنا، وتنقصوه، قال ذلك كنت أخاف يا رسول الله ﴾ [(٢)] .

الحـــوار الرابـــــع:

عـــن أبي هريرة ﷺ قال: بينما نحن في المسجد، إذ خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: ﴿ انطلقوا إلى يهود، فخرجنا معه حتى جئنا بين المدراس، فقام النبي ﷺ فناداهم: يا معشر يهود: أسلموا تسلموا. فقالوا قد بلغت يا أبا القاسم، فقال: ذلك أريده ثم قالها الثانية فقالوا: قد بلغت يا أبا القاسم، ثم قال الثالثة فقال: اعلموا أن الأرض لله ورسوله، وإني أريد أن أجليكم

---

(١) أخرجه البخاري،ك: العلم،ب: قوله وما أوتيتم من العلم إلا قليلا، رقم: ١٣٥، والآية رقم (٨٥) من سورة الإسراء.

(٢) أخرجه البخاري، ك: أحاديث الأنبياء، ب: خلق آدم وذريته، ينظر: الفتح، ٧/ ٥١٤ .

فمن وجد منكم بماله شيئاً فليبعه، وإلا فاعلموا أن الأرض لله ورسوله ﴾ [١] .

ثانياً: حوارات الرسول ﷺ مع النصـــارى:

الحـوار الأول:

يروي الطبري عن الربيع في قوله تعالى: ﭑﭒﭓﭔﭕ ﭖﭗ ﭘﭙ [٢] قال: إن النصارى أتوا رسول الله ﷺ فخاصموه في عيسى بن مريم، وقالوا: من أبوه؟ وقالوا على الله الكذب والبهتان ! لا إله إلا هو لم يتخذ صاحبة ولا ولدا .

فقال لهم النبي ﷺ: ألستم تعلمون أنه لا يكون ولد إلا وهو يشبه أباه؟ قالوا: بلى!

قال: ألستم تعملون أن الله حي لا يموت، وأن عيسى يأتي عليه الفناء؟

قالوا: بلى!

قال: ألستم تعلمون أن ربنا قيم على كل شيء يكلأه ويحفظه ويرزقه؟ قالوا: بلى!

قال: فهل يملك عيسى من ذلك شيئاً؟

قالوا: لا!

قال: فهل تعلمون أن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء؟

قالوا: بلى!

قال: فهل يعلم عيسى من ذلك شيئاً إلا ما عُلِّم؟

قالوا: لا!

قال: فإنا ربنا صور عيسى في الرحم كيف شاء فهل تعلمون ذلك؟

قالوا: بلى!

قال: ألستم تعلمون أن عيسى حملته أمه كما تحمل المرأة، ثم وضعته كما تضع المرأة ولدها، ثم غذي كما يغذى الصبي، ثم كان يطعم الطعام، ويشرب الشراب، ويحدث الحدث .

قالوا: بلى!

قال: فكيف يكون هذا كما زعمتم؟

قال: فعرفوا، ثم أبوا إلا جحوداً، فأنزل الله ﷻ ﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙ [٣] .

---

(١) أخرجه البخاري، ك: الخمس، ب: إخراج اليهود من جزيرة العرب، ٣/ ١١٥٥ .

(٢) سورة آل عمران، الآيتان (١، ٢) .

(٣) جامع البيان، الطبري، ٣/ ١٦٤، وراجع: أسباب النزول، للواحدي، ص ٦١، ٦٢، مؤسسة الحلبي للنشر والتوزيع .

الحــوار الثانــي مع النصــارى:

وفد على الرسول ﷺ في محرم من السنة التاسعة وفد من نجران، كان عددهم ستين راكباً، ودخلوا المسجد النبوي، وعليهم ثياب من الحرير، ودخلوا المسجد، وأرادوا الصلاة، فأراد الناس منعهم، فقال الرسول ﷺ دعوهم، فاستقبلوا المشرق فصلوا صلاتهم، فعرض عليهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن، فامتنعوا وقالوا قد كنا مسلمين قبلك، فقال رسول الله ﷺ: كذبتم، يمنعكم من الإسلام ثلاث: عبادتكم الصليب، وأكلكم الخنزير، وزعمكم أن لله ولداً: لأن أحدهم قال له: المسيح ابن الله، وقال له آخر المسيح هو الله لأنه أحيا الموتى، وأخبر عن الغيوب، وأبرأ من الأدواء، وخلق من الطين طيراً، وقال له أفضلهم: فعلام تشتمه وتزعم أنه عبد؟ فقال: هو عبد الله فغضوا، وقالوا: إنما يرضينا أن تقول إنه إله، وقالوا له: إن كنت صادقاً فأرنا عبد الله يحيى الموتى، ويشفي الأكمه والأبرص، ويخلق من الطين طيراً، فسكت عنهم، فنزل الوحي بقوله تعالى: ژ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ژ [١] وقوله تعالى: ژ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ے ے ۓ ژ [٢]، ثم قال لهم: إن الله أمرني إن لم تنقادوا للإسلام أن أباهلكم، أي ندعو ونجتهد في الدعاء باللعنة على الكاذب، فقالوا له: يا أبا القاسم نرجع فننظر في أمرنا ثم نأتيك، فخلا بعضهم ببعض، فقال بعضهم: والله لقد علمتم أن الرجل نبي مرسل، وما لا عن قوم قط نبياً إلا استؤصلوا: أي أخذوا على آخرهم، وإن أنتم أبيتم إلا دينكم فوادعوه وصالحوه وارجعوا إلى بلادكم، فرفضوا المباهلة وصالحوه على الجزية، وقالوا أرسل معنا أميناً، فأرسل معهم أبا عبيدة بن الجراح، وقال لهم هذا أمين هذه الأمة [٣]، وقد نزل في شأن المباهلة قول الله ـ تعالى ـ: ژ ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئې ئى ژ [٤] .

الحــوار الثالث مع النصــارى:

روى ابن إسحاق عن ابن عباس { قال: ﴿ اجتمعت الأحبار من اليهود والنصارى من أهل نجران عند رسول الله ﷺ ودعاهم إلى الإسلام فقال رجل يهودي أتريد يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى بن مريم عليه السلام فقال رجل من أهل نجران نصراني يقال له الربيس، أو ذاك تريد منا يا محمد، وإليه تدعونا؟ أو كما قال: فقال رسول الله ﷺ معاذ الله

---

(١) سورة المائدة، الآية (٧٢) .

(٢) سورة آل عمران، الآية (٥٩) .

(٣) أخرجه البخاري، ك: ٦٨، ب: قصة نصارى نجران، ٤/ ١٥٩٢ .

(٤) سورة آل عمران، الآية (٦١) .

أن نعبد غير الله، أو نأمر بعبادة غيره! ما بذلك أمرني ولا لذلك بعثني ﴾ [١] .

فأنزل الله ﷻ: ژ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ژ [٢] .

وكر ابن إسحاق أن حواراً بين اليهود والنصارى تم في مجلس رسول الله ﷺ حيث قال رافع بن حريملة لنصارى نجران: ما أنتم على شيْ، وكفر بعيسى والإنجيل، فقال رجل من نصارى نجران لليهود: ما أنتم على شيْ، وجحد نبوة موسى ﵇ وكفر بالتوراة، فأنزل الله تعالى في ذلك قوله: ژ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ژ [٣] .

وروى البيهقي في الدلائل عن ابن عباس أن أحبار اليهود ونصارى نجران تنازعوا عند الرسول ﷺ فقالت الأحبار ما كان إبراهيم إلا يهودياً، وقالت النصارى ما كان إبراهيم إلا نصرانياً [٤]، فأنزل الله تعالى: ژ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ژ [٥] .

أسلوب الرسول ﷺ في الحوار وآثاره الدعوية:

اتسم الحوار النبوي مع أهل الكتاب بالأمور التالية:

١ ـ بذل الجهد في إنشاء الحـوار:

لم تكن الحوارات النبوية مع أهل الكتاب أموراً عارضة في تاريخ الدعوة، بل إن الرسول ﷺ سعى إليها، وبذل جهداً في سبيل إنشاءها، وهذا يدل على حرص الداعي إلى الحق على الخير للناس، فقد أخرج البخاري بسنده أن الرسول ﷺ هو الذي ذهب بنفسه إلى اليهود وحرص على دعوتهم، فعن أبي هريرة ﵁ قال: ﴿ بينما نحن في المسجد إذ خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: انطلقوا إلى يهود، فخرجنا معه، حتى جئنا بيت المدراس، فقام النبي ﷺ فناداهم: يا معشر اليهود أسلموا تسلموا، فقالوا قد بلغت يا أبا القاسم، فقال: ذلك أريد، ثم قالها الثانية، .. ثم قالها الثالثة ﴾ [٦] .

كما تذكر كتب التاريخ أن الرسول ﷺ هو الذي أرسل إلى وفد نجران، حتى أتوا إليه

---

(١) دلائل النبوة، البيهقي، ٥/ ٣٨٤، دار الريان، وانظر: السيرة النبوية، ٢/ ٣٦ .

(٢) سورة آل عمران، الآيتان (٧٩، ٨٠) .

(٣) السيرة النبوية، ٢/ ٣٥٦، والآية (١١٣) من سورة البقرة . .

(٤) دلائل النبوة، ٥/ ٣٨٤ .

(٥) سورة آل عمران، الآية (٦٧) .

(٦) أخرجه البخاري، ك: الإكراه، ب : في بيع المكره، ٦/ ٥٢٥٤٧ .

فحاورهم في أمر الدين، حيث وضح البيهقي في الدلائل عن يونس بن بكير، وعن سلمة بن عبد يوشع عن أبيه عن جده، وكان يونس نصرانياً فأسلم قال: إن رسول الله ﷺ كتب إلى أهل نجران قبل أن تنزل عليه (طس) بسم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب من محمد النبي رسول إلى أسقف نجران، وأهل نجران: إن أسلمتم فإن أحمد إليكم الله إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب، أما بعد: فإني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد، فإن أبيتم فالجزية، فإن أبيتم فقد آذنتكم بحرب والسلام (١) .

والواقع أن كتب السير تختلف الروايات فيها بشأن وفد نجران، وهذا يدل على تكرار الوفود التي جاءت إلى رسول الله ﷺ من نجران (٢)، بل إن الوفد الواحد كان يأتي ويعود إلى الرسول ﷺ أكثر من مرة، وهذا واضـــــح في رواية ابن إسحاق بشأن الوفد، وذلك في قوله: (فلما رجعوا إلى رسول الله ﷺ) (٣)، وهذا يدل على أن هناك ذهاباً وإياباً. وفي الأخذ والرد مع الهود، وتكرار الطلب ثلاثاً، وحرصه ﷺ على تكرار الحوار مع نصارى نجران دلالة واضحة على ما ينبغي أن يبذله الداعي إلى الله تعالى في هداية الناس، مقتدياً بسيد الدعاة ﷺ .

٢ـ الاعتماد على الإقنـاع في الحـوار:

اعتمد الرسول ﷺ في حواره مع أهل الكتاب على الإقناع، الذي يحمل الطرف الآخر على قبول الحق برضا كامل، دونما إكراه، قال تعالى: ژی□ □ □ژ (٤) والرسول ﷺ في حواره مع نصارى نجران ينتقل من دليل إلى دليل، معتمداً على العقل والمنطق، مع دفع الطرف الآخر إلى عرض ما عنده، ليظهر الحق بالحجة والدليل، قال تعالى: ژئۈئېئىئىئىئدژ (٥)، ويقول جل وعلا: ژۆۈۈۋژ (٦)، وهذا واضح من خلال إثبات بشرية عيسى عليه السلام في حواره مع النصارى، حتى إنهم في نهاية الحوار عرفوا الحق، لكنهم تركوه عناداً وجحوداً كما ذكر الطبري في تفسيره (٧) .

---

(١) دلائل النبوة، البيهقي، ٥/ ٣٨٥ .

(٢) نصارى نجران ين المجادلة والمباهلة، د/ أحمد عجيبة، ص ١٨، دار الآفاق العربية .

(٣) السيرة النبوية، ابن هشام، ٢/ ٣٧٧ .

(٤) سورة البقرة، الآية (٢٥٦) .

(٥) سورة البقرة، الآية (١١١) .

(٦) سورة يونس، الآية (٦٨) .

(٧) جامع البيان، ٣/ ١٦٤ .

وقد أشار الإمام القرطبي إلى أهمية المجادلة في أمر الدين مستدلاً بالحوار القرآني لنوح عليه السلام مع قومه، وحوار إبراهيم مع النمرود مبيناً أنه لا يظهر الفرق بين الحق والباطل، إلا بظهور حجة الحق، ودحض حجة الباطل [(١)] .

٣ ـ الأدب في الحوار:

أظهر الرسول ﷺ في حواره مع أهل الكتاب أدباً رفيعاً، فلم يكن يلمز أو يطعن في الأشخاص لاختلافه معهم في العقائد، وكان ﷺ يتجنب تخطئة المنقاش وتسفيه آرائه، وكان متلطفاً رقيقاً في الخطاب، وهذا هو منهج القرآن في الحوار مع أهل الكتاب، قال تعالـــى: ﮋ ﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗ ﮊ [(٢)] .

ويقول الإمام الجويني: (وأحسن شيء في الجدال: المحافظة من كل واحد من المتجادلين على أدب الجدل، فإن الأدب في كل شيء حليته، فالأدب في الجدل يزين صاحبه، وترك الأدب فيه يزري به ويشينه) [(٣)] .

ومن حسن التعامل مع أهل الكتاب، ما فعله الرسول ﷺ من حسن استقباله لوفد نجران، وتركهم يصلون في مسجده .

يقول ابن إسحاق: (لما قدم ـ رؤساء نجران ـ فدخلوا عليه مسجده، حين صلى العصر ،عليهم ثياب الحبرات، جبب وأردية، فقاموا في مسجده يصلون بعدما حانت صلاتهم، فقال الرسول ﷺ دعوهم فصلوا إلى المشرق، وهذا ما ذكره ابن هشام [(٤)]، والطبري [(٥)]، والواحدي [(٦)] .

وفي رواية للبيهقي أنهم قاموا يصلون في مسجده فأراد الناس منعهم، فقال رسول الله ﷺ دعوهم فاستقبلوا المشرق فصلوا صلاتهم [(٧)] .

٤ ـ البر والتحمل في حوار الآخـــر:

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، ٣/ ٢٨٥، ٢٨٦ .

(٢) سورة العنكبوت، الآية (٤٦) .

(٣) الكافية في الجدل، الجويني، ص ٥٣٨، ت: فوزية حسين، مطابع الفرزدق، ط/٣، سنة ١٩٨٤م .

(٤) السيرة النبوية، ٢/ ٣٧٧ .

(٥) جامع البيان، ٣/ ١٦٣ .

(٦) أسباب النزل، الواحدي، ص ٦١ .

(٧) الدلائل، ٥/ ٣٨٢ .

من الأساليب النبوية الواضحة في حوار الرسول ﷺ مع أهل الكتاب، الصبر والتحمل، فقد يلجأ الخصم لطرح الأسئلة ليس بحثاً عن الحق، إنما بقصد إفحام الغير وتعجيزه، وهذا ما فعله اليهود مع الرسول ﷺ عندما سألوه عن الروح، لكن الرسول ﷺ استطرد في الحوار معهم، وأجابهم بما بينه له الوحي .

يقول ابن حجر: (أراد بعض اليهود أن يحل العقد الذي يربط بين الرسول ﷺ وصحابته الأبرار، وذلك بأن يظهر للصحابة ﷺ أن ما عند محمد ﷺ من علم قد يتطرق إليه الشك، وقد يخالف ما نزل على غيره من الرسل، ولما رأى الرسول ﷺ صحبه أحد الصحابة الأبرار، تسول له نفسه أن يوجه سؤالاً للرسول ﷺ عله يجيبه بما هو قابل للشك، أو بما هو مخالف لما نزل على موسى، فينطلق من ذلك ليبرهن للصحابة أن ثقتهم في الرسول ليست في محلها، فسؤال اليهود له سؤال تعجيز وتغليظ) [١] .

٥ ـ استعمال الحيلة لإلزام الخصـم:

من أساليب الرسول ﷺ في الحوار مع أهل الكتاب استعمال الحيلة، لإلزام المدعو بالحق، وحمله على القبول، أو النكوص فيفتضح أمره، وهذا ما فعله مع عبد الله بن سلام بعدما أسلم، إذ سألهم عنه قبل أن يعلموا بإسلامه، ثم خرج عليهم مسلماً، لتقوم عليهم الحجة ويظهر عنادهم، وقد كان ﷺ يجعل من شهادات من أسلم من رجالات أهل الكتاب أدلة لإثبات نبوته، من باب ﮋﯦﯧﮊ [٢] ونظير ذلك ما رواه سعيد بن جبير قال: ﴿ جاء ميمون بن يمين، وكان رأس اليهود إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله: ابعث إليهم فاجعلني حكماً، فإنهم يرجعون إلي، فأدخله داخلاً، ثم أرسل إليهم فأتوه فخاطبوه فقال: اختاروا رجلاً يكون حكيماً بيني وبينكم، قالوا: رضينا ميمون بن يمين، فقال: أخرج عليهم، فقال: أشهد أنه رسول الله، فأبوا أن يصدقوه ﴾ [٣] .

---

(١) فتح الباري، ٨/ ٣٢٥ .

(٢) سورة يوسف، الآية (٢٦) .

(٣) فتح الباري، ٧/ ٢٧٥ .

ثمـار الحـوار النبوي مع أهـل الكتــاب:

لقد أثمرت الحوارات النبوية مع أهل الكتاب ثماراً عدة منها:

١ ـ إسلام عدد من أحبار أهل الكتاب:

فقد أسلم عبد الله بن سلام، كما سبق ذلك، وحسن إسلامه ولو لم يسلم في زمن النبي ﷺ إلا سيد اليهود على الإطلاق وابن سيدهم، وعالمهم وابن عالمهم، وخيرهم وابن خيرهم، باعترافهم وشهادتهم، لكان في مقابلة كل يهودي على وجه الأرض، فكيف وقد تابعه من الأحبار والرهبان من لا يحصى عددهم إلا الله [١] .

وعن عبد الله بن سلام ﷺ قال: ﴿ لما قدم النبي ﷺ المدينة أنجفل الناس قبله، وقيل قدم رسول الله ﷺ، فجئت في الناس لأنظر، فلما تبينت وجهه، عرفت أن وجهه ليس بوجه كاذب، فكان أول شيء سمعته تكلم به أن قال: يا أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام ﴾ [٢] .

وعن سعد بن أبي وقاص قال: ﴿ ما سمعت النبي ﷺ يقول لأحد يمشي على الأرض إنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام، قال وفيه نزلت هذه الآية ﴾ [٣]:ژہھھےےۓۓژ [٤]

.

كما أسلم زيد بن سعفة أحد أحبار اليهود، قال ﷺ ﴿ ما من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفتها في وجه رسول الله ﷺ حين نظرت إليه إلا اثنين لم أخبرهما منه: يسبق حلمه جهله، ولا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً، وقد اختبرتهما، فأشهدك يا عمر أني قد رضيت بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً، وأشهدك أن شطر مالي ـ فإني أكثرها مالاً ـ صدقة على أمة محمد ﷺ قال عمر ﷺ أو على بعضهم، فإنك لا تسعهم، قلت: أو على بعضه، فخرج عمر ﷺ وزيد إلى رسول الله ﷺ فقال زيد، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وآمن به وصدقه، وبايعه، وشهد معه مشاهد كثيرة، ثم توفى في غزوة تبوك مقبلاً غير مدبراً ﴾ [٥]، كما أسلم ميمون بن يمين، وعدد كثير من أحبار اليهود .

---

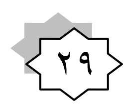
(١) هداية الحيارى، ابن القيم، ص ٥١٤ ـ ٥٢٥، دار الكتب العلمية .

(٢) أخرجه ابن ماجه، كتاب: الأطعمة، ب: إطعام الطعام، ٢/ ١٠٨٣ .

(٣) أخرجه مسلم، ك: فضائل الصحابة، ب: فضائل عبد الله، بن سلام، ٧/ ١٢٨، رقم: ٢٤٨٣ .

(٤) سورة الأحقاف، الآية (١٠) .

(٥) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد وعزاه إلى الطبراني وقال رجاله ثقات، ٨/ ٢٤٠ .



ومن ثمار الحوار مع أهل الكتاب إسلام البعض من نصارى نجران [١]، وبقاء البعض على كفره عناداً، فقد ذكر كتاب السير أن وفد نجران لما توجهوا إلى رسول الله ﷺ جلس أبو حارثة على بغلة، وإلى جنبه أخ له يقال له كوز بن علقمة، فعثرت بغلة أبي حارثة، فقال كوز: تعس الأبعد يريد رسول الله ﷺ فقال أبو حارثة بل أنت تعست! فقال: ولم يا أخي؟ قال: والله إنه النبي الأمي الذي كنا ننتظره. فقال كوز: فما يمنعك من اتباعه وأنت تعلم هذا؟ فقال: ما صنع بنا هؤلاء القوم: شرفونا، ومولونا، وأكرمونا، وقد أبوا إلا خلافه، ولو فعلت نزعوا منا كل ما ترى، فأضمر عليها منه أخوه كوز حتى أسلم بعد ذلك، والمراد بالقوم هنا: ملوك الروم .

وتذكر بعض الروايات أن نصارى نجران كانوا يتوارثون كتباً عندهم، تذكر صفة الرسول ﷺ قرأها بعضهم فأسلم وحسن إسلامه وحج [٢] .

٢ ـ إقامة الحجة على المعاندين:

لقد أثمرت الحوارات النبوية مع أهل الكتاب إقامة الحجة عليهم، وإقرارهم بنبوته، لكنهم ظلوا على كفرهم حسداً وتكبراً .

حيث تذكر كتب السيرة أن عبد الله بن صوريا الأعور اليهودي، وهو من أحبار اليهود، ناشده الرسول في قصة الزانيين اليهوديين المحصنين، فأقر بأن حكمها في التوراة الرجم، وأقر بصحة نبوته، ومعرفته بصدقه، يذكر البيهقي في الدلائل [٣] أن الرسول ﷺ قال لابن صوريا: (أنشدك بالله،وأذكرك أيامه عند بني إسرائيل هل تعلم أن الله حكم فيمن زنى بعد إحصانه بالرجم في التوراة؟ قال: اللهم نعم، أما والله يا أبا القاسم إنهم ليعرفون أنك نبي مرسل، ولكنهم يحسدونك، وتذكر الروايات أنه أسلم، ثم ارتد ومات على الكفر [٤] .

وأخرج الترمذي في سننه عن عبد الله بن سلمة عن صفوان بن عسال قال: ﴿ قال يهودي لصاحبه: اذهب بنا إلى هذا النبي، فقال صاحبه: لا تقل نبي، إنه لو سمعك كان له أربعة أعين، فأتيا رسول الله ﷺ فسألاه عن تسع آيات .

فقال لهم: لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا

---

(١) سيرة ابن هشام، ٢/ ٣٧٦، الروض الأنف، ٣/ ٣، وفي الدلائل، ٥/ ٣٨٣ .

(٢) سيرة ابن هشام، ٢/ ٢٧٧، ونهاية الأرب، ١٨/ ١٢٣ .

(٣) الدلائل، للبيهقي، ٦/ ٢٧٠، مرجع سابق .

(٤) راجع: نسيم الرياض، الخفاجي، ٢/ ٥١٨، دار الكتب العلمية،١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م .

بالحق، ولا تمشوا ببرئ إلى ذي سلطان ليقتله، ولا تسحروا، ولا تأكلوا الربا، ولا تقذفوا محصنة، ولا تولوا الفرار يوم الزحف، وعليكم خاصة اليهود أن لا تعتدوا في السبت، قال: فقبلوا يده ورجله فقالوا نشهد أنك نبي .

قال: فما يمنعكم أن تتبعوني؟ قالا: إن داود دعا ربه أنه لا يزال في ذريته نبي، وإنا نخاف إن تبعناك أن تقتلنا اليهود ﴾ [1] .

وقد سجل القرآن الكريم عليهم ذلك فقال جل وعلا: ژٱٻٻٻٻپپپپپپڀڀٺٺژ [2] .

ويقــول تعالـــــى: ژچچچچڇڇڍڍڌڌڎڎژژژ [3] .

٣ ـ التأصيـل النبـوي للحــوار:

إن إقامة الحوار مع أهل الكتاب وسيلة مهمة من وسائل الدعوة إلى الله ـ تعالى ـ وضع الرسول ﷺ أسسها، وحد أساليبها، وتأسى السلف الصالح به من بعده، فحوار المخالفين في العقدية والرأي من أهل الكتاب وغيرهم، والتي قام بها المسلمون منذ القرن الأول الهجري تعد صفحة مشرقة في تاريخ الدعوة الإسلامية، فقد حاور بعض الصحابة ﷺ غيرهم في مسائل شتى، وحاور الإمامان أبو حنيفة النعمان، والشافعي المخالفين، ولشيخ الإسلام ابن تيمية مناظرات عدة، وللشيخ رحمة الله الهندي وابن حزم، وأبو الريحان البيروني جهود لا تنكر في هذا المجال، ويعد الشيخ أحمد ديدات رائداً للمناظرة مع أهل الكتاب في العصر الحديث .

والحق أن هناك جانباً لا يمكن إغفاله، هو أن صفة الرسول ﷺ كان يتوارثها بعض أهل الكتاب، فيذعن من أراد الله له الخير لمجرد حواره مع الرسول ﷺ، أو حتى لمجرد رؤيته، وهذا من لطف الله ـ تعالى ـ بخلقه .

يقول الماوردي: (إن لله تعالى عوناً على أوامره، وإغناءً عن نواهيه، فكان أنبياء الله ـ تعالى ـ معانين على تأسيس النبوة بما تقدمه من بشائرها، وتبديه من أعلامها وشعائرها ليكون السابق مبشراً ونذيراً، واللاحق مصدقاً وظهيراً فتدوم بهم طاعة الخلق، وينتظم بهم استمرار الحق، وقد تقدمت بشائر من سلف من الأنبياء بنبوة النبي محمد ﷺ مما هو حجة على أممهم، ومعجزة تدل على صدقه عند غيرهم، بما أطلعه الله ـ تعالى ـ على غيبه ليكون

---

(١) أخرجه الترمذي، ك: الاستئذان، ب: ما جاء في قبلة اليد والرجل، رقم: ٢٧٣٣ .

(٢) سورة البقرة، الآية (١٤٦) .

(٣) سورة الأنعام، الآية (٢٠) .

عوناً للرسول وحساً على القبول) [١] .



(١) الماوردي، أعلام النبوة، ص ١٠١، دار الفرجاني، القاهرة، ١٩٨٥م .

المبحث الثالث
تصحيح عقائد أهل الكتاب

انحرف أهل الكتاب من اليهود والنصارى عن العقائد التي أتتهم بها رسلهم، وحرفوا الكتب السماوية التي أنزلها الله ﷻ ـ عليهم ـ وقد سجل القرآن الكريم عليهم ذلك في مواضع عدة، كما نعت عليهم السنة النبوية هذا المسلك، وجاهدهم الرسول ﷺ بلسانه في مواقف كثيرة، ليصحح لهم، ويقودهم إلى منهج الأنبياء، الذي يقوم على التوحيد الخالص، فانقاد بعضهم لرسول الله ﷺ وظل آخرون على عنادهم!

وأحسب أن مناقشة أهل الكتاب في أصول الدين المجمع عليها يعد منهجاً سديداً من مناهج السنة النبوية في دعوة أهل الكتاب، ولن استقصي في هذا المبحث كل ما قام به الرسول ﷺ في ذلك المجال، لكن أذكر عدة مواقف منها ما يلي:

أولاً: مناقشة أهل الكتاب في شأن الألوهية:

يقول الإمام الطبري [(١)]: أتى رهط من اليهود نبي الله ﷺ فقالوا: يا محمد هذا الله خلق الخلق فمن خلقه؟

فغضب النبي ﷺ حتى انتقع لونه، ثم ساورهم غضباً لربه، فجاءه جبريل فسكته وقال: اخفض عليك جناحك يا محمد، وجاء من الله جواب ما سألوه عنه، فقال: يقول الله تبارك وتعالى: ژٱٻٻٻپپپپپپٺٺٺٿٿژ [(٢)] .

إن خروج اليهود عن عقيدة موسى عليه السلام التي تقوم على التوحيد الخالص ـ قادهم إلى أن يعرضوا هذا السؤال على رسول الله ﷺ الذي يظهر مدى كفرهم وجرأتهم على الله ـ جل في علاه ـ وليس بغريب على أولئك الذين عبدوا العجل من دون الله ـ تعالى ـ أن يقولوا هذا أو أكثر منه، قال تعالى: ژہھھےےۓۓڭڭژ [(٣)] وصحفهم التي بأيديهم تشهد بذلك [(٤)] .

لقد رد عليهم رسول الله ﷺ بما علمه القرآن الكريم وأجابهم بإفراد الله تعالى بالوحدانية، وتنزيه ذاته عن موجد يوجده، ونفي الشبيه له، وهذا ما دعا إليه كل الأنبياء، بما

---

(١) جامع البيان، ١٢/ ٣٤١، وانظر: السيرة النبوية، ابن هشام، ٣/ ١١٠ .

(٢) سورة الإخلاص .

(٣) سورة الأعراف، الآية (١٤٨) .

(٤) انظر: سفر الملوك الثاني، ١٨ (٣ ـ ٤)، وسفر الخروج وفيه ادعاء بأن هارون عليه السلام صنع لهم عجلاً وفيه (فنزع كل الشعب أقراط الذهب وأتوا بها إلى هارون فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالإزميل وصنعه عجلاً مسبوكاً) سفر الخروج ٣٢ (١ ـ ٦) .

في ذلك موسى وعيسى & .

وفي هذا الرد الإلهي ـ سورة الإخلاص ـ لسؤالهم كشف للمغالطة التي أرادوا أن يصوروها بصورة إشكال فلسفي، وذلك لأن هؤلاء اليهود يزعمون أنهم يؤمنون بموسى ﷺ رسول الله، ويؤمنون بأن الله خالق كل شيْ، ومعلوم أن من كان يؤن بالله هذا الإيمان، فلابد أن يعلم أن الله هو الموجود الثابت، الذي لا يفتقر وجوده إلى شيْ، لأنه لا يقبل العقل بحال من الأحوال عدم وجوده [١] .

إن اليهود تمادوا في غيهم حتى اتخذوا آلهة عدة، رغم أن الصحف التي بأيدهم ـ بما فيها من تحريف ـ تثبت وحدانية الله ﷻ [٢]، وقد حذرهم الرسول ﷺ من التعدد يقول الله تعالى: ژ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ژ [٣] فالخطاب هنا موجه إلى اليهود (فلا تجعلوا لله أنداداً) أي عدلاء (وأنتم تعلمون) قال:تعلمون أنه إله واحد في التوراة والإنجيل لا ند له) [٤] .

لقد وجه الرسول ﷺ اليهود وغيرهم إلى إفراد الله بالعبودية أكثر من مرة، فعن أسامة بن زيد { « أن النبي ﷺ ركب حماراً عليه أكاف تحته قطيفة فدكية، وأردف وراءه أسامة بن زيد، وهو يعود سعد بن عبادة ﷺ وذلك قبل وقعة بدر، حتى مر في مجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان، واليهود وفيهم عبد الله بن أبي بن سلول، وفي المجلس عبد الله بن رواحة، فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمر عبد الله بن أبي أنفه بردائه، ثم قال: لا تغبروا علينا. فسلم عليهم النبي ﷺ ثم وقف فنزل فدعا إلى الله وقرأ عليهم القرآن، فقال عبد الله بن سلول أيها المرء لا أحسن من هذا إن كان ما تقول حقاً فلا تؤذنا في مجالسنا » [٥] .

ولما قال اليهود للرسول ﷺ بمن نؤمن أجابهم بما أمر الله تعالى به: ژ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ژ [٦] .

---

(١) مكايد يهودية عبر التاريخ، عبد الرحمن حبنكة، ص ٦١، دار القلم، بيروت .

(٢) ورد في أِفار العهد القديم: (اسمع يا إسرائيل أن الرب إلهنا رب واحد)، سفر التثنية، ٦/ ٤: ٩) وفي سفر الخروج ٢٠ (٢: ٤) (أنا الرب إلهك الذي أخرجك من مصر في العبودية لا يكن لك آلهة أخرى) .

(٣) سورة البقرة، الآية (٢٢) .

(٤) الدار المنثور، السيوطي، ١/ ٨٩ .

(٥) أخرجه البخاري، ك: التفسير، ب: تفسير سورة آل عمران، رقم: ٤٢٩٠ .

(٦)ر سورة البقرة، الآية (١٣٦) .

ومن أغلاط اليهود التي ناقشهم فيها رسول الله ﷺ ادعاؤهم أن عزيراً ابن الله!

فعن ابن عباس ﷺ قال: ﴿ أتى رسول الله ﷺ سلام بن مشكم ونعمان بن أوفى وشاس بن قيس ومالك بن حنيف، فقالوا كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا وأنت لا تزعم أن عزير ابن الله، فأنزل الله ـ تعالى ـ في ذلك من قولهم: ژگـگـگںژ [١] .

إن افتراء أهل الكتاب على الله ـ تعالى . والزعم بأنه اتخذ ولداً مضاهاة لقول الكفار، يقول الله تعالى: ژگـگگںڻڻۀۀہہھھےےۓۓﮬﮭﮮﮯژ [٢] .

لقد حذر الرسول ﷺ أهل الكتاب من هذا الكفر، ونوه إلى أن عاقبته في الآخرة الخسران، فقال مخاطباً لهم ولغيرهم: ژپپپپڀڀڀڀٺٺٺٺٿٿٿٿٹٹٹٹڤڤڤڤڦڦڦڦژ [٣] .

يقول الإمام القرطبي: (ما اتخذ الله من ولد كما زعمتم، ولا كان معه إله فيما خلق، إذ لو كان معه آلهة لانفرد كل إله بخلقه، ولغالب القوي الضعيف، وهذا الذي يدل على نفي الشريك يدل على نفي الولد أيضاً؛ لأن الولد ينازع الأب في الملك منازعة الشريك، وفي قوله سبحان الله عما يصفون تنزيه له عن الولد والشريك) [٤] .

وفي معرض تحذير أهل الكتاب من سوء هذا الاعتقاد يروي أبو سعيد الخدري ﷺ ﴿ أن أناساً في زمن النبي ﷺ قالوا يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة، قال النبي ﷺ نعم، هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة، ضوء ليس فيها سحاب، قالوا: لا، قال النبي ﷺ هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر، ضوء ليس فيها سحاب، قالوا: لا. قال النبي ﷺ: ما تضارون في رؤية الله ﷻ يوم القيامة، إلا كما تضارون في رؤية أحدهما، إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن تتبع كل أمة ما كانت تعبد، فلا يبقى من كان يعبد غير الله من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار، حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله، بر أو فاجر، وغبرات أهل الكتاب، فيدعى اليهود فيقال لهم ما كنتم تعبدون قالوا: كنا نعبد عزيراً ابن الله. فيقال لهم كذبتم، ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فماذا تبغون، فقالوا عطشنا ربنا فاسقنا، فيشار إليهم ألا تردون، فيحشرون إلى النار كأنهم سراب، يحطم بعضها بعضاً،

---

(١) تفسير الطبري، ٦/ ٣٥٠، وروح المعاني، ٥/ ٣٧٤، والآية (٣٠) من سورة التوبة .

(٢) سورة التوبة، الآية (٣٠) .

(٣) سورة المؤمنون، الآية (٩١) .

(٤) الجامع لأحكام القرآن، ١٢/ ١٥٣ .

فيتساقطون في النار، ثم يدعى النصارى، فيقال لهم ما كنتم تعبدون، قالوا كنا نعبد المسيح بن الله، فيقال لهم كذبتم، ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فيقال لهم ماذا تبغون فكذلك مثل الأول، حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر أو فاجر، أتاهم رب العالمين في أدنى صورة من التي رأوه فيها فيقال ماذا تنتظرون تتبع كل أمة ما كانت تعبد، قالوا فارقنا الناس في الدنيا على أفقر ما كنا إليهم، ولم نصاحبهم، ونحن ربنا الذي كنا نعبد فيقول أنا ربكم، فيقولون لا نشرك بالله شيئاً مرتين أو ثلاثاً ﴾ (١) .

لقد بذل الرسول ﷺ جهداً كبيراً في إبطال العقائد الفاسدة التي كانت موجودة لدى أهل الكتاب، ونبه كثيراً على نفي الصاحبة والولد لله تعالى، فقد بعث برسالة إلى ضفاطر أحد أساقفة النصارى يحذره وغيره من أتباعه من الفكر المنحرف، جاء فيها: (إلى ضفاطر سلام على من آمن، أما على أثر ذلك: فإن عيسى بن مريم روح الله وكلمته، ألقاها إلى مريم الزكية، وإني أؤمن بالله، وما أنزل إلينا، وما أنزل إلى إبراهيم، وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط، وما أوتي موسى وعيسى، وما أوتي النبيون من ربهم، لا نفرق بين أحد منهم، ونحن له مسلمون، والسلام على من اتبع الهدى) (٢) .

ويظهر الرسول ﷺ أنه أولى بعيسى عليه السلام من غيره، وأنه ـ أي عيسى ـ رسول فقط، قال ﷺ: ﴿ أنا أولى الناس بابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد ﴾ (٣) .

يقول ابن حجر في شرح الحديث: (أنا أولى الناس بابن مريم أي أخص الناس به، وأقربهم إليه لأنه بشر بأنه يأتي من بعده .... وأولاد العلات الإخوة من الأب وأمهاتهم شتى، ومعنى الحديث: أن أصل دينهم واحد وهو التوحيد، وإن اختلفت الشرائع، والأنبياء والرسل إنما فضلوا عن عامة الناس لاصطفاء الله تعالى لهم ولكمال عبوديتهم له سبحانه) (٤) .

وفي مقام التأكيد على بشرية عيسى عليه السلام والتحذير من الاعتقادات الفاسدة، يروي عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿ من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له،

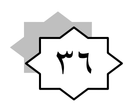
---

(١) أخرجه البخاري، ك: التفسير، ب: إن الله لا يظلم مثقال ذرة، ٤/ ١٦٧١، رقم: ٤٣٠٥ .

(٢) الطبقات، ١/ ٢٦٧٥، مرجع سابق .

(٣) أخرجه البخاري، ك: أحاديث الأنبياء، ب: قوله واذكر في الكتاب مرقم، ج ٤، رقم: ٣٢٥٨ .

(٤) فتح الباري ٧/ ١٦٣ .



وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل ﴾ [١] .

ثانياً: مناقشـة أهل الكتاب في شأن الأنبياء &:

ناقش الرسول ﷺ أهل الكتاب في شأن الأنبياء وصحح لهم المفاهيم الخاطئة، عن سفراء الله تعالى إلى خلقه، ودعاهم إلى الإيمان به وبرسالته ﷺ فمن ذلك أنه دخل ﷺ على جماعة من يهود في مدراسهم، فدعاهم إلى الله؛ فقال له النعمان بن عمرو والحارث بن زيد: على أي دين أنت يا محمد؟ قال: على ملة إبراهيم ودينه؛ فقالا: فإن إبراهيم كان يهودياً، فقال لهم رسول الله ﷺ فهلم إلى التوراة فهي بيننا وبينكم، فأبيا عليه فأنزل الله تعالى: ﮋﭑﭒﭓﭔ ﭕﭖﭗﭘﭙ ﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﮊ [٢] .

ويصحح الرسول ﷺ الرؤى الفاسدة، التي أذاعها أهل الكتاب حول سيدنا موسى ﷺ واتهامه بما لا يليق بمقام النبوة، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿ إن موسى كان رجلاً حيياً ستيراً لا يرى من جلده شيء استحياء منه، فآذاه من آذاه من بني إسرائيل، فقالوا ما يستتر هذا التستر إلا من عيب بجلده، إما برص وإما أدره [٣]، وإما آفة، وإن الله أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى ﷺ فخلا يوماً وحده، فوضع ثيابه على الحجر ثم اغتسل، ففلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها، وإن الحجر عدا بثوبه، فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر، فجعل يقول ثوبي حجر، حتى انتهى إلى ملأ من بني إسرائيل فرأوه عريان أحسن ما خلق الله، وأبرأه مما يقولون، وقام الحجر، فأخذ ثوبه فلبسه وطفق بالحجر ضرابً بعصاه، فو الله إن بالحجر لندباً من أثر ضربه ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً، فذلك قوله: ﮋﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞ ﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮊ [٤] .

وقضية عيسى ﷺ ناقشها الرسول ﷺ وبين أن عيسى ﷺ لم يصلب، كما يزعم النصارى، بل رفعه الله إليه، فقد روي عن عدي بن حاتم، قال: ﴿ أتيت النبي ﷺ وفي عنقي صليب، فقال لي يا عدي بن حاتم! ألق هذا الوثن من عنقك، وانتهيت إليه، وهو يقرأ سورة

---

(١) أخرجه البخاري، ك: أحاديث الأنبياء، ب: قوله يا أهل الكتاب لا تغلون ج ٣، رقم: ٣٢٥٣ .

(٢) سورة آل عمران، الآية (٢٣)، والحديث في السيرة، ٢/ ١٧٤ .

(٣) أدرة: يعني نفخة الخصية، ينظر: الفتح، ١٠/ ١٧٣ .

(٤) سورة الأحزاب، الآية (٦٩)،والحديث أخرجه البخاري، ك: الأنبياء، ب: ٢٨، وينظر: فتح الباري، ٧/ ٩٧ ـ ٩٧ .

براءة، حتى أتى على هذه الآية: ﮋ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﮊ [١] قال: قلت يا رسول الله: إنا لم نتخذهم أرباباً، قال: بلى، أليس يحلون لكم ما حرم عليك فتحلونه، ويحرمون عليكم ما أحل الله لكم فتحرمونه؟ فقلت: بلى، قال: تلك عبادتهم ﴾ [٢] .

إن خطاب الرسول ﷺ لعدي فيه أمران، الأول: نفي صلب المسيح عليه السلام وإبطال هذه العقيدة، التي هي أصل من أُول النصرانية، والأمر الثاني: إفراد الله بالعبودية، والانصراف عن سلطة الأحبار والرهبان .

أما عن صلب عيسى عليه السلام فقد نبه القرآن الكريم على أنه لم يصلب ولم يقتل، قال تعالى: ﮋ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮊ [٣]، وخاطب الرسول ﷺ أهل الكتاب وغيرهم بأن عيسى عليه السلام سيأتي آخر الزمان ليهدم العقائد الفاسدة، ومن ذلك أنه سوف يكسر الصليب.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿ يوشك أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً،فكسر الصليب ويقتل الخنزير،وتوضع الجزية،ويفيض الماء حتى لا يقبله أحد ﴾ [٤] .

إن النصارى باتخاذهم الصليب، يدعون أن عيسى عليه السلام صلب على خشبة على تلك الصورة، وفي كسره له إشعار بأنهم كانوا على الباطل في تعظيمه، فيبطل دين النصارى بكسره حقيقة، ويبطل ما تزعمه النصارى من تعظيمه، وقيل يكسر الصليب في الأرض كلها حتى لا يعبد إلا الله، وتكون السجدة لله رب العالمين لا رب سواه [٥] .

وفي قول الرسول ﷺ لعدي بن حاتم (تلك عبادتهم) توجيه لأهل الكتاب بأن يضعوا الرسل & والأنبياء في الوضع اللائق بهم بعيداً عن الإفراط أو التفريط .

إذ معنى اتخاذهم أرباباً (أن اليهود ادعوا لبعضهم بنوة الله ـ تعالى الله عن ذلك ـ وذلك تأليه، والنصارى أشد منهم في ذلك إذ كانوا يسجدون لصور عظماء ملتهم، مثل صورة مريم، وصور الحواريين وصورة يحيى بن زكريا، والسجود من شعار الربوبية، وكان يستنصرون بهم في حروبهم، ولا يستنصرون بالله ... ولأنهم كانوا يأخذون بأقوال أحبارهم

---

(١) سورة التوبة، الآية (٣١) .

(٢) جمع بيان العلم وفضله، ص ٣٨٧، وقال حديث حسن .

(٣) سورة النساء، الآية (١٥٧) .

(٤) البخاري، ك: الأنبياء، ب: نزول عيسى، ج ٣، رقم: ٣٢٦٤ .

(٥) شرح صحيح مسلم، ٢/ ١٩٠، وفتح الباري، ٦/ ٤٩٣ .

ورهبانهم، مخالفة لما هو معلوم بالضرورة أنه من الدين) [١] .

وقد احتلت نبوة الرسول ﷺ مساحة كبيرة في مناقشة أهل الكتاب، لدعوتهم إلى الإيمان به، وأنه رسول بشرت به كتبهم، لكن أهل الكتاب منهم من آمن، ومنهم من كفر .

أخرج ابن إسحاق قال: ﴿ ودخلت على رسول الله ﷺ جماعة من اليهود، فقال لهم: أما والله إنكم لتعلمون أني رسول الله إليكم قالوا: ما نعلمه، وما نشهد عليه [٢]، فأنزل الله في ذلك من قولهم:ﮋ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮊ [٣].

وحاول الرسول ﷺ استمالة أهل الكتاب إلى قبول رسالته بأن أشهد على نبوته أحباراً منهم، ليكون ذلك دافعاً إلى الإقرار برسالته، وقد حدث ذلك كما مر مع عبد الله بن سلام، وميمون بن يمين،وكلاهما صدَّقا برسول الله ﷺ، ورغم مكانة هؤلاء عند اليهود [٤] إلا أنهم نكثوا وظلوا على كفرهم .

وعن ابن إسحاق قال: وكان من حديث بني قينقاع أن الرسول ﷺ جمعهم بسوق قينقاع، ثم قال: ﴿ يا معشر يهود احذروا من الله مثلما أنزل بقريش من النقمة، وأسلموا فإنكم قد عرفتم أني بني مرسل، تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم ﴾ [٥] .

ولم يأل الرسول ﷺ جهداً في سبيل دعوة أهل الكتاب إلى الإيمان بنبوته، والتشديد عليهم في سبيل ذلك، فقد أخرج البخاري عن أبي هريرة ﷺ قال: ﴿ بينما نحن في المسجد، إذ خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: انطقوا إلى يهود، فخرجنا معه، حتى إذا جئنا بين المدراس، فقام النبي ﷺ فناداهم: يا معشر يهود أسلموا تسلموا، فقالوا قد بلغت يا أبا القاسم فقال ذلك أريد، ثم قالها الثانية، فقالوا قد بلغت يا أبا القاسم، ثم قال الثالثة، فقال: اعلموا أن الأرض لله ورسوله ﴾ [٦] .

ولما جاء وفد نجران ناقشهم الرسول ﷺ في شأن نبوته، فقد قالوا لرسول الله ﷺ: إنما نعظم المسيح ونعبده حباً لله وتعظيماً له، فأنزل الله هذه الآية رداً عليهم، وهي قوله تعالى: ﮋ

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، ١٠/ ١٧٠ .

(٢) السيرة النبوية، ٢/ ١٨٥ .

(٣) سورة النساء، الآية١٦٦) .

(٤) انظر: السيرة النبوية، ٢/ ١٣٩، وفتح الباري، ٧/ ٦٦٨، وقصة ميمون بن يمين في الفتح، ٧/ ٦٩٥ .

(٥) السيرة النبوية، ٣/ ٤٢ .

(٦) أخرجه البخاري، ك: الإكراه، الباب الثاني، ينظر: الفتح، ١٤/ ٣٢٨ .

ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃﮊ [١] .

يقول الإمام الطبري: (فتأويل الآية: قل يا محمد للوفد من نجران إن كنتم تزعمون أنكم تحبون، وأنكم تعظمون المسيح، وتقولون فيه ما تقولون حباً منكم ربكم، فحققوا قولكم الذي تقولونه إن كنتم صادقين باتباعكم إياي، فإنكم تعلمون أني رسول الله إليكم، كما كان عيسى رسولاً إلى من أرسل إليهم، فإن اتبعتموني وصدقتموني على ما أتيتكم به من عند الله، يغفر لكم ذنوبكم، فيصفح لكم عن العقوبة، ويعفو لكم عما مضي منها، فإنه غفور لذنوب عباده المؤمنين، رحيم بهم وبغيرهم من خلقه) [٢] .

ثالثاً: مناقشة أهل الكتاب بشأن الكتب السماوية:

أرسل الله ـ تعالى ـ موسى عليه السلام ـ إلى بني إسرائيل، وآتاه التوراة، قال تعالـــــى: ﮋ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﮊ [٣] وأنزل الله ـ تعالى ـ على عيسى عليه السلام الإنجيل قال جل وعلا: ﮋ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮊ [٤] لكن أهل الكتاب غيروا وبدلوا هذه الكتب، كما أنكروا نزول القرآن الكريم على رسول الله ﷺ فناقشهم الرسول ﷺ في شأن هذه المسائل، وأقام عليهم الحجة فمنهم من آمن ومنهم من كفر، ومن تلك المناقشات التي صحح فيها الرسول ﷺ مسلك أهل الكتاب، ما ذكره الطبري أنه جاء ناس من يهود إلى النبي ﷺ وهو محتب فقالوا: يا أبا القاسم ألا تأتينا بكتاب من السماء كما جاء به موسى ألواحاً يحملها من عند الله! فأنزل الله تعالى: ﮋ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮊ [٥] فجثا رجل من يهود فقال: ما أنزل الله عليك ولا على موسى ولا على عيسى ولا على أحد شيئاً! فأنزل الله: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﮊ [٦] قال محمد بن كعب: ما علموا كيف الله ﮋ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﮊ [٧] فحل الرسول ﷺ حبوته، وجعل يقول ولا على أحد [٨] .

ويقول الإمام القرطبي عند قوله تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ

---

(١) جامع البيان، ٦/ ٣٢٣، وانظر: أسباب النزول، ص ٦٦، والآية من سورة آل عمران، رقم (٣١) .

(٢) جامع البيان، ٦/ ٣٢٤ .

(٣) سورة الإسراء، الآية (٢) .

(٤) سورة الحديد، الآية (٢٧) .

(٥) سورة النساء، الآية (١٥٣) .

(٦) سورة الأنعام، الآية (٩١) .

(٧) سورة الأنعام، الآية (٩١) .

(٨) جامع البيان، ٧/ ٢٦٧ .

ﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭻ يقول الحسن: أن أحد اليهود يقول: لم ينزل الله كتاباً من السماء، وعن سعيد أن مالك بن الصيف جاء يخاصم الرسول ﷺ فقال له الرسول ﷺ أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى أما تجد في التوراة أن الله يبغض الحبر السمين؟ وكان حبراً سميناً، فغضب وقال: والله ما أنزل الله على بشر من شيء، فقال له أصحابه الذين معه: ويحك! ولا على موسى؟ فقال: والله ما أنزل الله على بشر من شيء) [١] .

إن بعض اليهود ينكرون كل الكتب السماوية، لكن الرسول ﷺ صحح لهم تلك المفاهيم الخاطئة، في صورة سؤال: ﮋ ﭡﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭮﭯ ﮊ [٢]، لكي يردهم إلى الصواب، ويذكرهم بالكتاب الذي أنزل على موسى، وقد صحح الرسول ﷺ أخطاءهم، ودعاهم إلى الاحتكام إلى التوراة في شأن الزناة .

فعن عبد الله بن عمر ﭬ قال: ﴿ أن الرسول ﷺ أتى بيهودي ويهودية قد زنيا، فانطلق رسول الله ﷺ حتى جاء يهود فقال: ما تجدون في التوراة على من زنى، قالوا: نسود وجوههما ونحملهما، ونخالف بين وجوههما ويطاف بهما، قال: فاتوا بالتوراة إن كنتم صادقين، فجاؤوا بها فقرؤوها، حتى إذا مروا بآية الرجم، وضع الفتي الذي يقرأ يده على آية الرجم،وقرأ ما بين يديها وما وراءها، فقال له عبد الله بن سلام، وهو مع الرسول ﷺ مره فليرفع يده، فرفعها فإذا تحتها آية الرجم، فأمر بهما رسول الله ﷺ فرجما، قال عبد الله بن عمر: كنت فيمن رجمهما، فلقد رأيته يقيها من الحجارة بنفسه ﴾ [٣] .

لقد دأب أهل الكتاب على تحريف كتبهم، بالزيادة أو النقصان، أو باستبدال الأحكام، وهذا ما بينه القرآن: ﮋ ﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟ ﮊ [٤]، فجادلهم الرسول ﷺ في شأن كتبهم، وحكم بحكم الله الموجود فيها، وهذه دعوة صريحة للعودة إلى دين الله المنزل في كتبه، وليس معنى ذلك ارتضاء الرسول ﷺ بالتوراة، لأنها شابها التحريف، ولا قبول لها بعد نزول الكتاب المهيمن على كل الكتب .

يقول الإمام النووي: (في سؤال النبي ﷺ لليهود في الحديث: "وما تجدون في التوراة"

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، ١٢/ ٩٨، مرجع سابق .

(٢) سورة الأنعام، الآية (٩١) .

(٣) أخرجه مسلم، ك: الحدود، ب: رجم اليهود أهل الذمة في الزنا، ٣/ ١٣٢٦، رقم: ١٦٩٩ .

(٤) سورة البقرة، الآية (٧٥) .

هذا السؤال ليس لتقليدهم، ولا لمعرفة الحكم منهم، وإنما هو لإلزامهم بما يعتقدونه في كتابهم، ولعله ﷺ قد أوحي إليه أن الرجم في التوراة الموجودة في أيديهم لم يغيروه كما غيروا أشياء، أو أنه أخبره بذلك من أسلم منهم، ولهذا لم يخف ذلك حين كتموه) [(١)] .

ولم يقف تحريف اليهود للكتب المنزلة عند حد الزيادة أو النقصان بل كتبوا من عند أنفسهم، قال تعالى: ﮋﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭻﭼﭽﭾﮊ [(٢)] .

يقول الإمام السيوطي: (إن أناساً من اليهود كتبوا كتاباً من عندهم، يبيعونه من العرب، ويحدثونهم أنه من عند الله ليأخذوا به ثمناً قليلاً) [(٣)] .

وقد تنوعت توجيهات الرسول ﷺ لأهل الكتاب لدفعهم إلى قبول القرآن، ومن ثم الدخول في الإسلام، لكن كثيراً منهم كان يصر على كفره وعناده .

فعن ابن عباس ﭬ قال: ﴿ أتى رسول الله ﷺ ابن سيحان، وعمر بن أصان، وسلام بن مشكم فقالوا: أخبرنا يا محمد بهذا الذي جئتنا به حق من عند الله ﻷ فإنا لا نراه متناسقاً كما تناسق التوراة، فقال لهم رسول الله ﷺ أما والله إنكم لتعرفون أنه من عند الله، تجدونه مكتوباً عندكم، ولو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله ما جاءوا، فقالوا عند ذلك وهم جميع: يا محمد ما يعلمك هذا إنس ولا جان، فقال رسول الله ﷺ أما والله إنكم لتعلمون أنه من عند الله تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة والإنجيل، فقالوا يا محمد: إن الله يصنع لرسوله إذا بعثه ما شاء، ويقدر منه على ما أراد فأنزل علينا كتاباً نقرؤه ونعرفه، وإلا جئناك بمثل ما تأتي به، فأنزل الله ﻷ فيهم، وفيما قالوا: ﮋﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭭﮊ [(٤)] .

لقد دعاهم الرسول ﷺ إلى الإيمان بالقرآن، الذي يشهد بنبوته، لكنهم جحدوا، وظلوا على عنادهم، رغم الآيات الباهرات التي تدل على صدق القرآن، وصدق الرسول ﷺ، وكل ذلك مدون في كتبهم .

يقول الله تعالى: ﮋﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﮊ [(٥)] .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (والقرآن أصل كالتوراة وإن كان أعظم منها، ولهذا كان

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي، ١٣/ ٢٠٨ .

(٢) سورة البقرة، الآية (٧٩) .

(٣) تفسير الدر المنثور، ١/ ٢٠٣، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣م .

(٤) جامع البيان، ١٥/ ١٥٨ ـ ١٥٩، والآية من سورة الإسراء، الآية (٨) .

(٥) سورة البقرة، الآية (١٠١) .

علماء النصارى يقرنون بين موسى ومحمد ﷺ كما قال النجاشي ملك الحبشة لما سمع القرآن: إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة [(١)]، وكذلك قال ورقة بن نوفل، وهو من أحبار نصارى العرب، لما سمع كلام النبي ﷺ فقال له: ﴿ إنه يأتيك الناموس الذي يأتي موسى، يا ليتني فيها جذعاً حين يخرجك قومك، فقال النبي ﷺ أو مخرجي هم؟! قال: نعم، لم يأت أحد بمثل ما جئت به إلا عودي وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً ﴾ [(٢)] .

ولهذا يقرن سبحانه بين التوراة والقرآن في مثل قوله: ژ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ژ [(٣)] ويعني التوراة والقرآن وفي القراءة الأخرى (قالوا ساحران) أي: محمد وموسى) [(٤)] .



---

(١) المسند، ٥/ ٢٩١، رقم: ٢٢٥٥١ .

(٢) صحيح البخاري، ك: التعبد، ب: تفسير سورة اقرأ، ٤/ ١٨٩٤، رقم: ٤٦٧٠ .

(٣) سورة القصص، الآية (٤٨) .

(٤) الجواب الصحيح، ابن تيمية، ١/ ١١٦، ١١٧ .

المبحث الرابـع
معاملـة الرسول ﷺ لأهـل الكتـاب

إن المعاملة الإنسانية الكريمة التي أبداها الرسول ﷺ في تعامله مع الآخر بوجه عام، ومع أهل الكتاب بوجه خاص، تعد منهجاً سديداً للدعوة إلى دين الله ـ تعالى ـ فقد كان سلوكه ﷺ في حياته يعكس عظمة الدين الذي يدعو إليه، وكم من أناس أقبلوا على الإسلام لما رأوه في شخص الرسول ﷺ من قيم عليا، ومبادئ سامية، يحمدها الناس على اختلاف أديانهم، وتباين ألوانهم .

وإن التاريخ ليذكر بمداد الفخار أن شعوباً بأسرها أقبلت على هذا الدين لا من أجل دعاة بلغوهم،ولا من خلال صحف وصلت إليهم تنذرهم، ولكن لما رأوه في سماحة أتباع هذا الدين .

ولعل من أبرز مظاهر سماحة الرسول ﷺ في معاملة أهل الكتاب ما يلي:

أولاً: احترام إنسانيتهـم:

حيث تعامل الرسول ﷺ مع أهل الكتاب من منطلق الأخوة الإنسانية عملاً بقوله تعالى: ﮋﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮊ [(١)] .

ومن هذا المنطلق عاد الرسول ﷺ مرضاهم ووقف لجنازتهم، وأكل ذبائحهم، وأحل نساءهم، وباع منهم واشترى، ليجسد في صورة عملية الإخوة الإنسانية .

فعن أنس ﷺ « أن الرسول ﷺ كان له خادم يهودي، فمرض فأتاه النبي ﷺ يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له أسلم، فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال له أطع أبا القاسم، فأسلم فخرج الرسول ﷺ وهو يقول: الحمد لله الذي أنقذه من النار » [(٢)] .

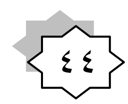
ويذكر الإمام أحمد في المسند « أن الرسول ﷺ ومعه أبو بكر وعمر { أتوا على رجل من اليهود ناشر التوراة، يعزي بها نفسه على ابن له في الموت، كأحسن الفتيان وأجمله، فقال رسول الله ﷺ أنشدك بالذي أنزل التوراة هل تجد في كتابك هذا صفتي ومخرجي فقال برأسه هكذا أي لا، فقال ابنه: إي والذي أنزل التوراة إنا لنجد في كتابنا صفتك ومخرجك، وأشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، فقال: أقيموا اليهودي عن أخيكم، ثم ولي كفنه وحنطه وصلى عليه » [(٣)] .

---

(١) سورة الحجرات، الآية (١٣) .

(٢) أخرجه البخاري، ك: الجنائز، ب: إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه، ١/ ٤٠٥ .

(٣) المسند، ٥/ ٤١١، وقال ابن كثير في إسناده: جيد قوي، ومجمع الزوائد، ٨/ ٢٣٤ .



وإذا كان القرآن الكريم قد أنصف أهل الكتاب في مواضع عدة [١]، فإن الرسول ﷺ أنصفهم، وأثنى على خيارهم، حيث أمر أصحابه بالهجرة إلى الحبشة، وقال في شأن النجاشي: ﴿ إن بأرض الحبشة ملكاً لا يظلم عنده أحد فألحقوا ببلاده، حتى يجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً ﴾ [٢] .

تقول أم سلمة <: ﴿ فخرجنا إليها حتى اجتمعنا بها، فنزلنا بخير دار إلى خير جار، أمنا على ديننا ولم نخش منه ظلماً ﴾ [٣] .

ومن عدل النجاشي أنه أبي أن يسلم المسلمين إلى سفيري قريش، واستمع إلى كلام جعفر ﷺ وقال: (إن هذا والذي جاء به عيسى ﵇ يخرج من مشكاة واحد ثم خاطب سفيري قريش بقوله: انطلقا والله لا أسلمهم إليكما أبداً) [٤] .

وعن جابر بن عبد الله { قال: ﴿ مر بنا جنازة، فقام لها النبي ﷺ وقمنا به، فقلنا يا رسول الله: إنها جنازة يهودي فقال أليست نفساً ﴾ [٥] .

وقد كان رفيقاً في تعامله مع أهل الكتاب ومع غيرهم، ليظهر سماحة الإسلام ويتألف قلوب الناس، فعن عائشة < قالت: ﴿ دخل رهط من اليهود على رسول الله ﷺ فقالوا السام عليك، قالت عائشة: ففهمتها، فقلت: وعليكم السام واللعنة! قالت: فقال رسول الله ﷺ: مهلاً يا عائشة إن الله يحب الرفق في الأمر كله، فقلت يا رسول الله: أو لم تسمع ما قالوا؟ قال: رسول الله ﷺ قد قلت وعليكم ﴾ [٦] .

ومن مظاهر رفقه بأهل الكتاب ما ذكرته كتب السيرة، أنه لما دخل عدي بن حاتم ـ وكان نصرانياً ـ على رسول الله ﷺ فألقى إليه الرسول ﷺ وسادته وجلس على الأرض، فقال عدي أشهد أنك لا تبغي علواً في الأرض ولا فساداً وأسلم، فقالوا يا نبي الله لقد رأينا

---

(١) من الآيات التي أنصف فيها أهل الكتاب قوله: ﮋ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮊ (سورة آل عمران، الآية: ٧٥)، وقوله: ﮋ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﮊ (سورة آل عمران، الآية :١١٣)، وقوله: ﮋ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﮊ (سورة المائدة، الآية: ١٣) .

(٢) أخرجه البيهقي في السنن، ٩/ ٩ .

(٣) أخرجه أحمد في المسند، !/ ٢٠٢، وفي الحلية، ١/ ١١٦ .

(٤) سير أعلام النبلاء، الذهبي، ١/ ٤٣٢، والسيرة، لابن هشام، ٢/ ٢٦٨، ٢٦٩ .

(٥) أخرجه البخاري، ك: الجنائز، ب: من قام لجنازة اليهودي، ١/ ٤٤١ .

(٦) أخرجه البخاري، ك: الأدب، ب: الرفق في الأمر كله، وينظر: الفتح، ٥/ ٢٢٤٢ .

منك منظراً لم نره لأحد فال نعم: هذا كريم قوم، فإذا أتاكم كريم قوم فأكرموه [١] .

ومن مظاهر رفقه بأهل الكتاب ما رواه أبو موسى الأشعري ﷺ ﴿ أن اليهود كان يتعاطسون عند رسول الله ﷺ يرجون أن يقول لهم يرحمكم الله، فكان يقول لهم: يهديكم الله ويصلح بالكم ﴾ [٢] .

ورغم حرص الرسول ﷺ على إيمان كل الناس فلم يشأ أن يكره أحداً من أهل الكتاب على قبول دعوته، فقد كان لرجل من بني سالم بن عوف ابنان متنصران، قبل مبعث رسول الله ﷺ ثم قدما المدينة، في نفر من النصارى، يحملون الزيت، فلزمهما أبوهما، وقال: لا أدعكما حتى تسلما: فأبيا أن يدخلا في الإسلام فاختصموا إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أيدخل بعضي النار وأنا أنظر؟! فأنزل الله تعالى: ﮋﯾ ﯿ ﰀ ﰁﮊ [٣] فنهاه الرسول ﷺ عن ذلك وخلى الرجل سبيلهما) [٤] .

وفي مقام العفو تذكر كتب السنة أن يهودية سمت شاة مصلية لرسول الله ﷺ أهدتها له عام خيبر، فأخذ الذراع، فأكل منها، وأكل رهط من أصحابه معه، فقال رسول الله ﷺ ارفعوا أيديكم، وأرسل إلى اليهودية فدعاها، فقال لها سممت الشاة، فقالت من أخبرك، قال: أخبرتني هذه في يدي ـ الذراع ـ قالت: نعم، قال: فما أردت إلى ذلك، قالت: إن كنت نبياً فلن يضرك، وإن لم يكن استرحنا منك، ويقال إن الرسول ﷺ مع ذلك عفا عنها ﴾ [٥] .

وتذكر كتب السنة أنه عفا عنها أولاً، ثم أمر بقتلها لما توفى أحد أصحابه الذين أكلوا منها، وهو بشر بن البراء بن معرور [٦] .

كما عفا ﷺ عن لبيد الأعصم الذي سحره، في مشط ومشاطة وجفن طلع نخل في بئر روان، وحينما أخبر عائشة بذلك، قالت له أفلا استخرجته؟ قال: قد عافاني الله، فكرهت أن أثير على الناس فيه شراً، فأمر بها فدفنت [٧] .

---

(١) حياة الصحابة، الكاندهلوي، ٢/ ٣٨١، ٣٨٢، وابن ماجه، ٢/ ٣٧ .

(٢) أخرجه الترمذي، ك: الأدب، ب: ما جاء في تشميث العاطس، ٥/ ٨٢، رقم: ٢٧٣٩، وقال حسن صحيح .

(٣) سورة البقرة، الآية (٢٥٦) .

(٤) تفسير القرآن العظيم، ١/ ٦٨٢، دار طيبة للنشر، وانظر: أسباب النزول، الواحدي، ص ٥٣ .

(٥) البخاري، ك: الهدية، وفضلها، ب: قبول الهدية من المشركين، رقم: ٢٩٩٨، وينظر: الفتح، ٥/ ٢٢٤٢ .

(٦) الإصابة، ابن حجر، ترجمة رقم: ٦٥٤، والاستيعاب، ١/ ٥١ .

(٧) أخرجه البخاري، ك: الطب، ب: السحر، ٥/ ٢١٧٤ .

وإن سماحة رسول الله ﷺ تسمو مع أهل الكتاب حتى إنه أباح للمسلمين أكل طعامهم، ونكاح نساءهم، وهذا ما نص عليه القرآن الكريم، يقول الله تعالى: ژۆۈۇۈۇۋۋۅۅۉۉېېېېىىئائا ئەئەئوئوئۇئۇژ [١].

يقول ابن كثير: (وهذا أمر مجمع عليه بين العلماء، فذبائحهم حلال للمسلمين لأنهم يعتقدون تحريم الذبح لغير الله ـ تعالى ـ ولا يذكرون على ذبائحهم إلا اسم الله ـ تعالى ـ وإن اعتقدوا فيه ـ تعالى ـ ما هو منزه عنه تعالى وتقدس) [٢] .

قال الزهري: ﴿ وإن سمعته ـ أي الكتابي ـ يسمي لغير الله فلا تأكل ﴾ [٣]، وقد أكل الرسول ﷺ من ذبائحهم يوم خيبر ثم لفظها حينما أدرك أنها مسمومة، كما ثبت في الصحيح أنهم لما غزوا خيبر أخذ بعض الصحابة جراباً فيه شحم، وقال: قلت لا أطعم اليوم من هذا أحداً فالتفت فإذا برسول الله ﷺ يضحك ولم ينكر عليه [٤]، وأجاب رسول الله ﷺ دعوة يهودي إلى خبز شعير وإهالة سنخة [٥] .

أما عن إباحة نكاح نساء أهل الكتاب، فقد روي عن ابن عباس قال: ﴿ نزلت هذه الآية: ژڃچچڇڇژ [٦] قال: فحجز الناس عنهن حتى نزلت الآية التي بعدها: ژئەئەئوئوئۇئۇئۆژ [٧] فنكح الناس نساء أهل الكتاب ﴾ [٨] .

يقول ابن كثير: (وقد تزوج جماعة من الصحابة من نساء النصارى، ولم يروا بذلك بأساً أخذاً بهذه الآية الكريمة) [٩] .

وقد روي أن عثمان رضي الله عنه أنه تزوج نائلة بنت الفرافصة على نسائه، وهي نصرانية،

---

(١) سورة المائدة، الآية (٥) .

(٢) تفسير القرآن العظيم، ٢/ ٢٠ .

(٣) البخاري، ك: الذبائح والصيد، ب: ذبائح أهل الكتاب، ٥/ ٢٠٩٧ .

(٤) مسلم، ك: الجهاد، ب: جواز الأكل من طعام الغنيمة، ٣/ ١٣٩٣ .

(٥) البخاري، ك: الدهن، ب: في الدهن في العصر، ٢/ ٨٨٧ .

(٦) سورة البقرة، الآية (٢٢١) .

(٧) سورة المائدة، الآية (٥) .

(٨) الدر المنثور، السيوطي، ١/ ٤٥٨ .

(٩) تفسير القرآن العظيم، ٢/ ٢١ .

وعن طلحة بين عبيد الله أنه تزوج يهودية [١] .

وقد أباح الإسلام الزواج من الكتابية دون الكافرة، لأن الكتابية ليس بينها وبين المؤمن كبير مباينة، فإنها تؤمن بالله وتعبده، وتؤمن بالأنبياء، وبالحياة الآخرة، وما فيها من الجزاء، وتدين بوجوب عمل الخير وتحريم الشر، فأجاز إليه نكاحها رجاء إسلامها، لأنها آمنت بكتب الأنبياء والرسل بالجملة، وإنما نقضت الجملة بالتفصيل بناء على أنها أخبرت عن الأمر على خلاف حقيقته، فالظاهر أنها متى نبهت على حقيقة الأمر تنبهت، وتأتي بالإيمان على التفصيل، على حسب ما كانت أتت به على الجملة، هذا هو الظاهر من حال التي بني أمرها على الدليل دون الهوى، والطبع والزوج يدعوها إلى الإسلام وينبهها على حقيقة الأمر رجاء إسلامها ووصولها إلى هذه العاقبة الحميدة [٢] .

وقد ذكر أهل العلم أن الحكمة من إباحة زواج الكتابيات تتمثل فيما يلي [٣]:

١ ـ إن في ذلك إزالة للحواجز وتقريباً للمسافة بين أهل الكتاب والمسلمين .

٢ ـ في الزواج من الكتابيات نافذة يطل منها اليهود والنصارى على الإسلام وحسن رعايته للزوجات يمكن من خلالها الدخول في الإسلام .

٣ ـ إيجاد الألفة والمحبة بين الطرفين، من خلال المصاهرة، الأمر الذي يحد من شدة العداء، أو الصدام الدموي البغيض .

ثانياً: العـــــدل مع أهـــل الكتـــاب:

وجه الإسلام أتباعه إلى العدل مع الناس، حتى وإن كانوا مخالفين لهم في الرأي، وفي ذلك يقول الله ـ تعالى ـ: ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ژ [٤]، ويقول جل وعلا: ژ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ژ [٥] .

وقد طبق الرسول ﷺ العدل مع كل الناس مؤمنهم وكافرهم، وكان عادلاً في تعامله مع أهل الكتاب، والنماذج في هذا الباب كثيرة أذكر منها ما يلي:

١ ـ إنصاف اليهودي من المسلم:

---

(١) زاد المسير، ابن الجوزي، ٢/ ٢٩٦، ٢٩٧، المكتب الإسلامي، دمشق .

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب، ١/ ٣٥١، داء إحياء التراث، ط/٧، سنة ١٩٧١م .

(٣) العلاقات الأسرة في الإسلام، محمد عبد السلام، ص ١٢٨، مكتبة الفلاح، ١٩٨٧م .

(٤) سورة النساء، الآية (١٣٥) .

(٥) سورة المائدة، الآية (٨) .

يقول الله ـ تعالى ـ: ﮋﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﮊ [(١)] .

يقول ابن عباس {: (نزلت هذه الآية في رجل من الأنصار، يقال له طعمة بن أبيرق من بني ظفر، سرق درعاً من رجل يقال له قتادة بن النعمان، وكانت الدرع في جراب فيه دقيق، فجعل الدقيق ينتثر من خرق في الجراب، حتى انتهى إلى داره، ثم خبأها عند يهودي يقال له زيد بن السمين، فالتمست الدرع عند طعمة، فحلف بالله ما له بها من علم، فقال أصحاب الدرع: لقد رأينا أثر الدقيق، حتى دخل داره، فلما حلف تركوه، واتبعوا أثر الدقيق إلى منزل اليهودي فأخذوه، فقال اليهودي: دفعها إليَّ طعمة، قال البغوي وجاء بنو ظفر قوم طعمة إلى رسول الله ﷺ وسألوه أن يجادل عن صاحبهم، فهم الرسول ﷺ أن يعاقب اليهودي فنزلت هذه الآية، وبرأ الرسول ﷺ ساحة اليهودي، وثبتت التهمة على المسلم [(٢)]، ويذكر الترمذي أن ذلك الرجل مات منافقاً [(٣)] .

وفي عدل الرسول أيضاً يروي سهل أن نفراً من قومه انطلقوا إلى خيبر، فتفرقوا فيها، ووجدوا أحدهم قتيلاً، وقالوا للذي وجد فيهم: قد قتلتم صاحبنا، قالوا: ما قتلنا ولا علمنا قاتلاً .. فانطلقوا إلى النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله انطلقنا إلى خيبر فوجدنا أحدنا قتيلاً، فقال الكُبْر الكُبْر (أي قدموا في الكلام كبيركم) ثم قال لهم تأتون بالبينة على من قتله؟ قالوا: ما لنا بينة، قال فيحلفون؟ قالوا: بأيمان اليهود، فكره رسول الله ﷺ أن يبطل دمه فواده مائة من إبل الصدقة [(٤)] .

وهنا يدفع النبي ﷺ دية القتيل من الصدقة، ويرفض كلام الأنصار لعدم وجود البينة، وهذا من تمام عدله مع أهل الكتاب .

يقول الإمام النووي تعليقاً على هذا الحدث: (إنما واده رسول الله ﷺ "أي دفع ديته" قطعاً للنزاع وإصلاحاً لذات البين) [(٥)] .

٢ ـ تطبيق القواعد الفقهية مع أهل الكتاب:

ومن صور عدله ما رواه ابن مسعود ﷺ قال: ﴿ من حلف على يمين وهو فيها فاجر

---

(١) سورة النساء، الآية (١٠٥) .

(٢) انظر: تفسير الخازن، علاء الدين الخازن، ١/ ٥٩٣، دار الفكر العربي، ١٣٩٢هت/ ١٩٧٩م .

(٣) تحفة الأحوذي، المباركفوري، ٨/ ٣١٤، دار الكتب العلمية .

(٤) البخاري، ك: الديات، ب: القسامة، ٦/ ٢٥٢٨، رقم: ٦٥٠٢ .

(٥) المنهاج شرح صحيح مسلم، النووي، ١١/ ١٤٧ .

ليقتطع بها مال امرئ مسلم لقي الله وهو عليه غضبان ﴾ قال الأشعث بن قيس: فيَّ والله كان ذلك، كان بيني وبين رجل من اليهود أرض فجحدني فقدمته إلى النبي ﷺ فقال لي رسول الله: ألك بينة، قلت:لا، فال لليهودي احلف، قال: قلت يا رسول الله، إذاً يحلف ويذهب بمالي، فأنزل الله تعالى: ژئەئوئوئۇئۇئۆئۆ ئۈئۈئېئېئېئىئىئىیی□□□□□□□□□ژ [(١)] .... ﴾ [(٢)] .

لقد اختصم الرجلان أحدهما من صحابة رسول الله ﷺ والأخر يهودي، فيأتيان إلى رسول الله ليحكم بينهما، فلا يجد أمامه إلا أن يطبق الشرع فيهما، والشرع يلزم المدعي وهو الأشعث بن قيس بالبينة، فإن فشل في الإتيان بالدليل فيكفي أن يحلف المدعي عليه ـ وهو اليهودي ـ على أنه لم يفعل ما يتهمه به المدعي فيصدق في ذلك، وبالفعل حكم الرسول ﷺ لليهودي لأن منهج الإسلام يقوم على ﴿ البينة على المدعي واليمين على من أنكر ﴾ [(٣)] .

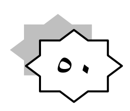
لاشك أن حسن التعامل مع أهل الكتاب، والذي طبقه الرسول ﷺ في صور مختلفة، يعطي انطباعاً عن عظمة هذه الرسالة الخالدة، وإن هذه النماذج كانت ـ ولا تزال ـ دافعاً لقبول الإسلام من أهل الكتاب وغيرهم .



(١) سورة آل عمران، الآية (٧٧) .

(٢) أخرجه البخاري، ك: الخصومات، ب: كلام الخصوم بعضهم في بعض، ٢/ ٨٥١ .

(٣) أخرجه مالك في الموطأ برواية محمد بن الحسن، ٨٤٤، والبيهقي، رقم: ٢٠٩٩٠ .



الخاتمـــــة

بعد هذه الدراسة، والتي وضح من خلالها أهم الطرق وأبرز الأساليب التي سلكها الرسول ﷺ في دعوته لأهل الكتاب، يتضح لي أن أهم نتائج البحث تتمثل في ما يلي:

١ ـ أن الهيئات الدعوية في كل عصر وفي كل مصر ينبغي عليها أن تقتفي أثر الرسول ﷺ في دعوته .

٢ ـ لابد أن يأخذ الحوار الإسلامي المسيحي القدر اللائق به من العناية، حتى يثمر في تقريب وجهات النظر، ومن ثم تمتد جسور التواصل بين أوربا والإسلام، وهذا من شأنه أن يصب في مصلحة الدعوة الإسلامية .

٣ ـ الإسلام دعوة عالمية، وعلى هذا فينبغي على دعاة هذا الدين أن يخاطبوا كل المجتمعات، بما في ذلك المجتمع اليهودي، وأن يفتحوا معهم حواراً وفاءً لحق هذا الدين، وعملاً بعالمية الدعوة الإسلامية .

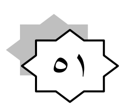
٤ ـ يجدر بمؤسسة الأزهر والأوقاف أن تعني أكثر بإنشاء مراكز دعوية للسائحين الأجانب، لعرض رسالة الإسلام عليهم بالصورة الملائمة .

٥ ـ ينبغي أن يعاد النظر في المراكز الثقافية الإسلامية في أوربا من حيث تأهيل القائمين عليها، والدعم المادي والمعنوي، حتى تتمكن من مواصلة رسالتها الدعوية .

هذا، وصلى الله وسلم على معلم الناس الخير؛؛

د/ ياسر محمد عبد اللطيف علي





قائمـــة بأهــم المراجــــــع

(١) القرآن الكريم: جل من أنزله .

(٢) أسباب النزول، الواحدي، مؤسسة الرسالة .

(٣) الاستيعاب، ابن عبد البر، ط/ المكتبة العصرية .

(٤) الإصابة، ابن حجر، دار الكتب العلمية .

(٥) أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة .

(٦) أعلام النبوة، الماوردي، دار الفرجاني .

(٧) البداية والنهاية، ابن كثير، دار الحديث .

(٨) تاج العروس، الزبيدي، ط/ بيروت .

(٩) تاريخ الملوك، الطبري، دار المعارف .

(١٠) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية، تونس .

(١١) تحفة الأحوذي، المباكفوري، دار الكتب العلمية .

(١٢) تفسير الخازن، الخازن، دار الفكر .

(١٣) جامع البيان، الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت .

(١٤) جامع بيان العلم، ابن عبد البر، دار ابن حزم .

(١٥) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، دار الحديث، القاهرة .

(١٦) الحوار الإسلامي المسيحي، بسام عجك، دار قتيبة .

(١٧) حياة الصحابة، الكندهلوي، المكتبة العصرية، بيروت .

(١٨) الدر المنثور، السيوطي، دار الفكر، بيروت .

(١٩) الدعوة الإسلامية، أحمد غلوش، ط/ نهضة مصر .

(٢٠) الدعوة الإسلامية، محمد الراوي، الدار القومية .

(٢١) دلائل النبوة، البيهقي، دار الريان .

(٢٢) روح المعاني، الألوسي، دار الكتب العلمية .

(٢٣) الروض الأنف، السهيلي، ت: عبد الرحمن الوكيل، بيروت .

(٢٤) زاد المسير، ابن الجوزي، المكتب الإسلامي، دمشق .

(٢٥) زاد المعاد، ابن القيم، دار ابن حزم .

(٢٦) السيرة النبوية، ابن هشام، ت: محمد علي قطب، المكتبة العصرية .

(٢٧) الصحاح في اللغة، نديم مرقشلي، دار الحضارة .

(٢٨) صحيح مسلم، النووي، دار الكتب العلمية .

(٢٩) الطبقات، ابن سعد، دار إحياء التراث .

(٣٠) العلاقات الأسرية في الإسلام، محمد عبد السلام، مكتبة الفلاح .

(٣١) فتح الباري، ابن حجر، دار الفكر، بيروت .

(٣٢) في ظلال القرآن، سيد قطب، دار إحياء التراث .

(٣٣) القاموس، الفيروز آبادي، ط/ مصطفى الحلبي .

(٣٤) الكامل، ابن الأثير، دار الفكر للطباعة .

(٣٥) لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت .

(٣٦) المصباح المنير، الرافعي، ط/ بيروت .

(٣٧) المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، ط/ وزارة التربية والتعليم .

(٣٨) المفردات، الراغب، ط/ الحلبي .

(٣٩) مكايد يهودية، عبد الرحمن حبنكة، دار القلم .

(٤٠) منهاج الجدل، الألمعي، مطابع الفرزدق .

(٤١) الموافقات، الشاطبي، دار ابن عفان .

(٤٢) نصارى نجران بين المجادلة والمباهلة، أحمد عجيبة، دار الآفاق .

(٤٣) هداية الحيارى، ابن القيم، دار الكتب العلمية .

(٤٤) هداية المرشدين، على محفوظ، دار الاعتصام .

(٤٥) مصادر ومراجع أخرى متنوعة .

